حكايات

حكايات

مجموعة قصصية

سارة أبو ريا

اسم الكاتب: سارة أبو ريـا
اسم الكتاب: حكايات
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف:
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – اغسطس ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

للنشر والتوزيع
Arabic Library

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الحكاية الأولى

لم يكن يصدق أنه على وشك تحقيق حلم حياته، فالمنحة الدراسية التى كان ينتظرها بفارغ الصبر قد أتت أخيراً. يركب سيارته لينطلق بها في شوارع القاهرة فى ساعة متأخرة من الليل، ولكن لا تأتى الرياح بما تشتهى السفن، وسرعان ما يتحول النور إلى ظلام مدقع.

يفتح خالد عينيه ليجد نفسه في حجرة داخل مستشفى، وضجيج الأجهزة الطبية يسير بشكل منتظم من حوله. يحاول أن يحرك أصابع يده، ولكنه لا يستطيع. يتسائل عن الذى حدث، وما السبب وراء وجوده داخل هذه الحجرة، وأين السيارة التى كان يركبها. تتزاحم الأفكار من حوله دون جدوى إلى أن تدخل الممرضة التى ترسم على شفتاها ابتسامة مصطنعة ثم تخرج وتحضر الطبيب معها.

لم يصدق خالد بعدها أن كل شئ في الحياة قد انتهى في هذه اللحظة الصعبة التى أخبره فيها الطبيب بأنه تعرض لحادث سيارة أدى إلى إصابته بالشلل، ولم يعد قادراً على الحركة كالسابق. لم تتوقف دموع أمه في صباح اليوم التالى بينما يحاول والده التماسك، وهو يخبره بأنه أمر الله، وعليه أن يتقبله، ولكنه يرفض كلام أبيه، ويتهم القدر بأنه أصبح عقبة في تحقيق أحلامه التى سعى إليها منذ إلتحاقه بالكلية، وأنه كان يرغب في أن يصبح علامة من علامات صناعة التكنولوجيا في العالم.

يعود خالد إلى منزله مهزوماً مكسوراً، لا يود رؤية أصدقاءه الذين يحاولون الوقوف بجواره في محنته، فهو يظن بأنهم يشمتون فيه لأنه كان دوماً متفوقاً عنهم دراسياً. تتوقف الحياة من حوله، ويعتاد الظلام والوحدة والألم حيث إنه لا يستطيع حتى قضاء حاجته طبيعياً ودائماً ما يحتاج إلى المساعدة.

يغافله النوم، وهو يشاهد تساقط الأمطار على زجاج شباك حجرته ثم يستيقظ ليجد أمامه شخصاً غريباً يجلس أمامه، يقرأ كتاباً ليست له ملامح سوى غلاف بسيط دون اسم عليه. يسأله خالد عن هويته، فيخبره بأنه قادماً من مكان بعيد لا يعلمه أحد حيث شعر بالتعاطف الشديد معه عندما قرأ قصته فى هذا الكتاب، لذلك فهو لم يتردد أن يذهب إليه. يشعر خالد بالقلق الشديد، ويحاول أن يصرخ طالباً المساعدة من أبويه، ولكن دون فائدة حيث يخبره الرجل الغريب بأن الجميع في سبات عميق.

يعم الصمت للحظات، يتبادل فيها خالد والرجل الغريب النظرات ثم يسأله خالد عن الذى يريده، فيغلق الرجل الغريب الكتاب ثم يعتدل في جلسته، ويخبر خالد بأنه قادماً لمساعدته. يتعجب خالد من كلامه، ويسأله كيف يمكن له أن يساعده وحالته ميئوس منها.

يقف الرجل الغريب وهو لا يزال يحمل الكتاب، ويشرح لخالد أنه عندما قرأ حالته قرر أن يرسم له طريقين، عليه أن يختار بينهما، فهو بالنهاية الشخص الذى سوف يحيا هذه الحياة. ترتسم ملامح الدهشة على وجه خالد، ويسأله بتوجس عن هويته، ولكن الرجل الغريب لا يرد عليه ويكمل عرضه.

يقف أمام الحائط، ويقسمها بيديه إلى نصفين ثم يشرح لخالد الطريقة التى سوف يخوض بها التجربتين حيث عليه أن يتفاعل بعقله وليس بجسده الذى لا يستطيع الحركة، وأن يخضع كل حواسه الأخرى في سبيل تحقيق كلتا الحياتين.

يوافق خالد مستسلماً، فيشاور الرجل الغريب على الجزء الأول من الحائط، ليخرج منه شعاع أبيض قوى، من شدته يغلق خالد عينيه ثم يفتحها ليجد نفسه في دار رعاية حيث تقوم فتاة صغيرة في السن بمساعدته فى تناول الطعام. ينظر إليها خالد متسائلاً عن أبويه، فتخبره بأنهما احضراه إلى هنا منذ عامين لعدم قدرتهما على خدمته. ينظر حوله

ليجد بأن حوله العديد من المرضى الذين يعانون من الشلل مثله، يحاول الحركة، ولكنه لا يستطيع. يصرخ طالباً النجدة من أحدهم، ولكن تهدأه الفتاة، وتخبره بأنها سوف تذهب لتحضر الطبيب.

يتأمل خالد المكان من حوله، ليجد صورته على زجاج الشباك المجاور له، فيتفاجئ من الشيب الذى انتشر فوق رأسه كما أنه أصبح عجوزاً هشاً، تكثر التجاعيد تحت عينيه. يبكى على ما أصابه من قلة حيلة، ويتذكر طموحاته السابقة في أن يصبح شخصاً عظيماً.

يقاطعه الطبيب الشاب الذى يناديه ب "عم خالد"، ويخبره بأسف بأن أبويه قد توفيا منذ عامين، وأنهما قررا قبل الوفاة ببضعة أشهر بأن يضعوه في هذه الدار كى يتمكن من الحياة بعد رحيلهما. يتذكر خالد تعب وإرهاق والدته التى لم تبخل عليه في العطاء كما يتذكر دعاء أبيه المخلوط بالبكاء كى يتمكن من الإستمرار في هذه الحياة اليائسة. يتركه الطبيب بعد أن أعطى له حقنة تجعله يذهب إلى عالم آخر، يرى نفسه فيه

واقفاً أمام الطلاب في إحدى المحاضرات، ويلقى أمامهم دروسه، ويساعدهم في مشاريعهم. كما يرى زوجته، التى تظهر بدون ملامح، وأبناءه الصغار، ويعيش حياة سعيدة معهم في حضور أبويه.

يستيقظ على أنين قادم بالقرب منه حيث قام أحد المرضى بقطع شرايينه، فيصرخ خالد طالباً العون والمساعدة، ولكن يطلب منه المريض أن يتركه يموت حيث أنه لا يستطيع أن يتحمل هذه الحياة أكثر من ذلك. يبكى خالد، ويستمر في الصراخ بينما تنتشر دماء المريض في جميع الأرجاء ليغرق هو ومن حوله فيها.

يعود خالد إلى حجرته مفزوعاً ليجد أن الرجل الغريب لا يزال واقفاً أمام الحائط بينما يحاول خالد التنفس من شدة الفزع. ينظر إليه الرجل الغريب مبتسماً ثم يسأله إذا كان مستعداً للتجربة الثانية أم لا. ينظر إليه خالد للحظات متردداً ثم يوافق.

يخرج شعاع أبيض قوى من الجزء الثانى من الحائط، فيغلق خالد عينيه ثم يفتحها على صوت تصفيق حاد من جمهور يقف أمامه في قاعة

كبيرة تعج بالحاضرين بينما يجلس هو على كرسى متحرك ويرتدى بدلة أنيقة. ينظر حوله ليجد أمه وأبيه يحملان جائزة، ويبدو عليهما السعادة الغامرة.

يرجع معهما إلى المنزل ليجد الأقارب والأصدقاء في انتظاره، الجميع يبارك له على إنجازاته العظيمة في مجال التكنولوجيا وصناعة البرمجة، فقد تحدى ما أصابه ليثبت للعالم أجمع بأن العقل قادراً وحده على تحقيق المستحيل. يتذكر كيف كان يستخدم فمه في الكتابة بالقلم الإلكترونى، وكيف تمكن من إخضاع التكنولوجيا لخدمته بمساعدته أبويه حيث كان يوجههما، وبالتالى استطاع أن يخدم نفسه وكل من يعانى من نفس مرضه، لذلك فقد اعتبره الخبراء من جميع أنحاء العالم بأنه طفرة في عالم التكنولوجيا، ومن ثم انهالت عليه العروض والتكريمات المختلفة.

يدخل حجرته، وينظر لنفسه في المرآة، فقد حقق حلمه بالرغم من إعاقته، وأثبت لنفسه قبل الجميع بأنه يستطيع فعل المستحيل.

يعود خالد إلى حجرته مبتسماً ليجد أمامه الرجل الغريب، وهو يقرأ في الكتاب، فيقاطعه متسائلاً عن هويته، فيخبره الرجل الغريب بأنه القدر الذى اتهمه غدراً بأنه وقف عقبة في تحقيق مراده وأحلامه، ولكن عليه أن يعى جيداً بأن الحياة ما هى إلا مجموعة اختيارات.

الحكاية الثانية

نادية:" لقد رفضت أن أكون نسخة من أحد"

هكذا تحدثت نادية إلى المذيعة التى نظرت إليها بإعجاب شديد، فهذه الفتاة التى بلغت منتصف الثلاثينات دون زواج، أوأسرة وعائلة، استطاعت أن تذهب إلى الفضاء، وتحقق حلم كل فتاة تنتمى إلى الطبقة تحت المتوسطة في أن تصبح ذات قيمة علمية هامة.

تبدأ الحكاية عندما كانت نادية في المرحلة الإبتدائية، كانت تجلس في آخر الفصل، ومن المتعارف عليه أن من يجلس في آخر الفصل يعتبر من البلداء، ولكنها لم تكن بليدة بل حالمة. صحيح أنها لم تعرف إجابة العديد من الأسئلة كما أنها تفتقد الشغف بحب الدرجات العالية، ولكنها تستمتع بالجلوس بجوار الشباك تنظر إلى السماء التى كانت تعتبرها كتلة غامضة.

كانت تهوى الرسم، فكانت ترسم السماء بطول الصفحة، وتلونها بالأزرق في محاولة لمحاكاة الواقع، ولكن كان يسخر منها زملائها في الفصل الذين يرونها بحراً وليس سماءاً صافية كما كانت تريد. اعتادت نادية منذ نعومة أظافرها على التنكيل بها أمام الجميع، فقد كان يمسكها مدرس اللغة العربية عندما كانت في الصف الرابع الإبتدائى من ياقة قميصها ويرفعها على طرف السبورة كى تقع على وجهها، ومن ثم تتعالى ضحكات الأطفال عليها.

كانت ضعيفة في اللغة العربية والحساب والدراسات الإجتماعية، ولكن الجميع قد ذهل من تفوقها في العلوم والرسم واللغة الإنجليزية. لم يكن هناك من يؤمن بها أو يعلم ما الذى تفكر فيه، دائماً ما كانت أمها تشكى حظها من ضعف مستوى ابنتها الصغيرة، وأنه لا بد من فك العمل الذى صنع من أجل عرقلتها، وخصوصاً أن أختها وأخيها اللذان يكبرانها في السن أفضل منها بمراحل كما يشهد لهما الجميع بتفوقهما.

كانت الأرقام بالنسبة لها تمثل لغزاً شاقاً يصعب حله كما كانت لا تستطيع التنفس وهى تحدد الفرق بين المبتدأ والخبر.

لم تكن فتاة تقليدية، فهى ليست تفضل البيت على المدرسة، ولم تحب أن تشارك زملائها اللعب في فناء المدرسة أو الشارع أمام البيت بل كانت تجلس على الرصيف تنظر إلى السماء.

كانت تلمس بيدها على صور كتاب اللغة الإنجليزية "هاللو" حيث كانت تتمنى أن تعيش داخل هذا العالم بعيداً عن الواقع الذى لا يفهمها فيه أحد. دخلت المرحلة الإعدادية، ولم تتركها سخرية الفتيات في حالها بل إزدادت أينما تذهب. كان يتم طردها من الحصص بشكل دورى إلا أن توصل مدرس الدراسات الإجتماعية إلى حل سحرى، أرشدها بطريق غير مباشر إلى اكتشاف هدفها منذ وقت مبكر.

أعطاها ورقة أثناء الفسحة، وطلب منها أن تكتب كيف ترى نفسها بعد عشرين سنة فى مقابل أن يمنحها درجات أعمال السنة كاملة.

احتارت نادية كثيراً، ولكنها وجدت نفسها ترسم سماء بعرض الصفحة، وهى تجلس فوق إحدى السحب تنظر إلى الفضاء. أمسك المدرس الورقة، وتأملها طويلاً ثم ضحك وقال لها:" رائدة فضاء! ولكن هذا مستحيل في بلادنا".

عادت إلى منزلها، وهى تردد بداخلها " رائدة فضاء"، ولكن هذا بالنسبة لها لم يكن مستحيلاً بل أصبح هدفاً محدداً لها. نظرت إلى السماء من خلال شباك حجرتها كأنها توعد السماء بأنها سوف تلمسها بيدها يوماً ما.

كرست نادية حياتها منذ هذه اللحظة لخدمة هدفها، وأصبحت تبحث وتجمع كل ما له علاقة بالفضاء إلى أن اعتقد أهلها بأنها مجنونة، وسخر منها الجميع. لم تكن بحاجة لأن يؤمن بها أحد، ولكنها اكتفت بأنها مؤمنة بنفسها. استطاعت أن تحصل على درجات تؤهلها للإلتحاق بكلية العلوم، ولكن بإحدى الجامعات خارج القاهرة.

اعتبرها أهلها فاشلة، أو بالأحرى صاحبة القدرات الأقل بين أخواتها، وعليهم أن يحمدوا الله أنها نجحت في الإلتحاق بإحدى الكليات العملية، وبالتالى تم حفظ ماء وجههم أمام العائلة التى لم يوجد بها طالب فى القسم الأدبى!

لم تحزن نادية بمصيرها المحتوم فى السفر والعيش داخل المدينة الجامعية، وأن تبتعد عن النيل لترى الأراضى الزراعية الخضراء من حولها بل صاحبت البهائم وكذلك الناموس البغيض. رأت في ابتعادها عن القاهرة فرصة للبداية من جديد، وخصوصاً بأنها وجه جديد في هذا المكان، وليس لديها أصدقاء. تعرفت على أصدقاء جدد، وكونت علاقات إجتماعية في محيط دراستها، ولم تكن تخجل من أن تحكى عن حلمها أمامهم.

استطاعت أن تحرز درجات عالية مما لفت الأنظار إليها كما أن شخصيتها الجادة وتفاعلها مع أساتذتها أثناء المحاضرات- التى كان

يمل منها الطلاب الآخرين- شجع أستاذها في أن يساعدها ويساندها كى تحصل على التعيين كمعيدة في الكلية، وتتخصص في علوم الفضاء.

أثار تفوقها الدراسى حفيظة أهلها الذين كانوا يرغبون في تزويجها بعد حصولها على الشهادة الجامعية، فالفتاة في نهاية الأمر ليس لديها سوى البيت وتربية الأطفال حتى لو أصبحت سفيرة- على حد قول أمها، ولكن نادية رفضت حيث أمامها طريق طويل، ولن تسمح لأحد بأن يوقفها.

لم تتخل نادية عن حلمها، وحلمها لم يتخل عنها بل سارا معاً يده بيدها إلى أن نجحت في الحصول على فرصة تدريب فى الوكالة الأجنبية لعلوم الفضاء بعد حصولها على الماجستير. كانت سعادة أستاذها بها لا توصف، وأخبرها أمام الجميع بأنه كان يتمنى في أن تصبح إحدى بناته مثلها، ولكنه يعتبرها ابنته التى لم ينجبها.

اعتقدت بأنها سوف تجد نفس الترحيب من قبل أهلها في البيت بعد هذا الإنجاز العظيم، ولكنها فوجئت برياح عاصفة، ورفض أبيها سفرها إلى الخارج، فهى لم تتزوج بعد. لم تبكِ، ولم تعترض، ولم ترفع صوتها عليه بل تركت الجميع ودخلت حجرتها في صمت. وفى صباح اليوم التالى، لم يجدوا لها أثراً داخل البيت.

سافرت إلى المحافظة التى تعمل بها، واستضافها أستاذها ليسمع شكوتها، ونصحها بالعودة إلى البيت والتحدث مع أهلها، وتحاول إقناعهم بأن تسافر إلى الخارج. عادت نادية إلى البيت، لتجد أن أبيها قرر أن تتزوج بابن عمها، فقد تعدت الخامسة والعشرين، ولا تزال آنسة كما أنه لن يسمح لها بأن تفنى حياتها " على كلام فاضى"- على حد تعبيره.

تعاملت نادية مع الموقف بهدوء، ولكنها رفضت قرار أبيها المتعنت بالإضافة إلى كلام أختها الطبيبة وأخيها المهندس عن سُنة الحياة، وعليها

أن تكتفى بما أحرزته حتى هذه اللحظة، وإلا سوف تجد ما لا يسرها من أبيها.

كان عليها أن تقرر، وكانت تعلم بأن القرارات في هذه المواقف صعبة ويجب حسابها بشكل دقيق، لذلك وضبت أغراضها، وأعلنت عن رفضها الشديد لقرار تزويجها بابن عمها ثم تركت المنزل. عادت إلى حياتها الجامعية، وهى مهزوزة ومكسورة، فالقرار غير تقليدى، ولم يأخذه أحد قبلها كما أن العواقب لا بد وأن تكون وخيمة. لم يتركها أستاذها بل ساعدها فى إنهاء أوراقها اللازمة، وودعها بدموعه الغزيرة في المطار لتنطلق نحو حياة مختلفة.

فتح لها باب السيارة أحد العاملين الذى استقبلها بترحاب في الوكالة الأجنبية ثم أخذها في جولة سريعة داخل المكان إلى أن وصلت إلى مكتبها. كانت خائفة، مترقبة، مترددة، تتسارع دقات قلبها المتلاحقة، ولكن فى وقت قصير استطاعت أن تثبت نفسها بجدارة في المكان. كانت

في اشتياق لتذهب في رحلة إلى الفضاء، لهذا عندما أتيحت لها الفرصة، لم تتردد بل سارعت في تنفيذ المهمة.

تمر الأيام والسنين، وتتبدل معها الأحوال إلى أن استيقظت عائلة نادية على خبر ذهاب أول عالمة من أصول مصرية إلى الفضاء فى ذهول ودهشة بينما كانت الدموع تنهمر من عيون أستاذها الجامعى، وكذلك مدرس الدراسات الإجتماعية الذى كان يردد " كانت طالبة لدى يوماً ما".

انتبهت نادية إلى صوت المذيعة داخل الإستديو بسؤالها عن شعورها في تحقيق هدفها الذى اعتبره الجميع مستحيلاً. ابتسمت نادية، وقالت:" شعور من المستحيل وصفه".

الحكاية الثالثة

يدخل الطلاب مسرح الكلية فى انتظام بينما يقف أحمد أمامهم، وهو يمسك المايك بين يديه. تمر بعض اللحظات حتى ينتهى الجميع من الجلوس ثم يعم الصمت استعداداً للإستماع إلى هذا "المعتوه" على حد قول أحد الطلاب الذى تم إجباره على الحضور. يبتسم أحمد إليه ثم ينظر إلى الجميع، ويرفع المايك.

" أنا معتوه بالفعل، لا تنتدهش، فمنذ عشرة سنوات كان هذا لقبى داخل أروقة هذا المكان"

ينتبه إليه الجميع بينما يستمر أحمد في الحديث:" كنت مثل أى شاب في مصر يأمل في الإلتحاق بإحدى كليات القمة، ذاكرت ليل نهار، ذهبت إلى الدروس الخصوصية، لدرجة أننى كنت أحضر لدى أكثر من مدرس في نفس المادة. تحمل أبى حوالى ما يقرب من عشرين ألف جنيه في السنة الأولى ثم في السنة الثانية ما يقرب من خمسين ألف بسبب

مجموعى الصغير الذى حصلت عليه في السنة الأولى. وعندما جمعت مجموع السنتين، أصبح خمسة وتسعون في المائة. حققت هدفى بعد أن تكبد أبى ما يقرب من سبعين ألف جنيه بين عامى ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، مع العلم بأنى الأخ المتوسط بين أخت وأخوين.

إلتحقت بهذه الكلية بعد سهر الليالى وحفظ المعلومات لأكتبها بالنص دون تغير داخل ورقة الإجابة، ولكن كما يعلم الجميع، الدراسة هنا فى الجامعة تختلف بشكل كبير عن المدرسة. حضرت أول أسبوع جميع المحاضرات، ولكنى لم أفهم شيئاً، فالطريقة مختلفة، وأسلوب الدكاترة يختلف بشكل كبير عن أسلوب المدرسين. حاولت جاهداً أن أتعرف على زملاء يسبقونى بسنة أو أكثر كى يرشدونى إلى الحل، ولكن خيبة الأمل لاحقتنى أينما ذهبت."

يتوقف أحمد عن الكلام، وينظر إلى الطلاب الذين يستمعون إليه كإنه يحكى قصص حياتهم، وتجاربهم الحقيقية ثم يكمل: " قررت أن

استريح لمدة أسبوع لعل السبب في التوتر الذى يصيب أى شخص في مراحله الأولى من أى تجربة حديثة يمر بها ثم عدت ثانية إلى الألغاز، أقصد المحاضرات. أنجزت الترم الأول بصعوبة، ونجحت بتقدير مقبول، وكذلك فى التيرم الثانى. توقفت قليلاً كى أرى طبيعة التجربة التى أمر بها، فإذا استمريت بالحصول على مقبول طوال سنوات الدراسة فلن أستطيع الحصول على فرصة للتعيين داخل الكلية أو الإلتحاق بمرحلة الدراسات العليا، لذلك كان على أن أتوقف، وأوقف الزمن معى."

يرفع أحد الطلاب يده متسائلاً:" وهل استطعت أن توقف الزمن؟" يضج المسرح بالضحك ثم ينظر إليه أحمد قائلاً:" نعم استطعت"

الطالب:" يالك من معتوه حقيقي، كيف استطعت فعل ذلك؟"

أحمد:" ببساطة شديدة، جلست مع نفسى لأعرف ما الذى أريده بالفعل فى هذه الحياة، وإذا كانت الدراسة الجامعية سوف تفيدنى أم لا،

وإذا كان هذا التخصص سوف يعود عليَّ بالنفع في المستقبل أم لا. الحكمة من دخول الجامعة هى أن تستفيد من هذه الدراسة في المستقبل، فما فائدة الحصول على شهادة جامعية بعد أن تضيع من عمرك أربعة أو خمسة سنوات أو ربما أكثر سوى ورقة مختومة بختم النسر. نعم، إلتحقت بهذه الكلية العظيمة، ولكنى أدركت مبكراً بأننى لن أستفيد منها في شئ في المستقبل، وتسائلت إذا يمكن أن ألتحق بأى كلية أخرى، وبعد بحث عن طبيعة المواد في الكليات الأخرى لم أجد ما يؤهلنى لسوق العمل الواقعى. كلامى هذا ليس تقليلاً من الجامعة، فهى مهمة، ولكن ليس لأمثالى. لقد تكلف أبى مبلغاً طائلاً كى ألتحق بها، ولكن هل سأتمكن من سداده بعد الإنتهاء من الدراسة؟!"

يرجع الطلاب بظهورهم إلى الوراء، ويبدو على البعض الإنبهار بكلامه الذى يلمس ما يشعرون به بالفعل. يكمل أحمد بنفس الحماس:" لقد ترددت كثيراً قبل أن أخوض تجربة مختلفة بعيدة تماماً عن المعتاد

والسائد من حولى. عزمت أن أؤجل السنة الثانية من الدراسة، ومن هنا انطلق اسم الشهرة " أحمد المعتوه " الذى ترك كلية القمة في سبيل أن يتعلم حرفة!"

تبدو الدهشة على الجميع بينما يطرق أحد الطلاب بيده على رجله غير مصدقاً كلامه، فيخاطبه أحمد:" هذا ما حدث. تركت كل شئ، وذهبت إلى أرض الواقع. تعلمت النجارة فى دمياط حيث يسكن عمى ثم عملت معه في ورشته الصغيرة ثم اتخذت قرارى في نهاية ٢٠٠٦ ألا وهو إننى لن أكمل دراستى الجامعية، وسوف أكتفى بالشهادة الثانوية"

يعم الصمت المكان بينما يتأمل أحمد وجوه الطلاب الذى يطغى عليهم الحيرة والدهشة والإعجاب، ليكمل قائلاً:" كان عمرى وقتها تسعة عشر عاماً، فضلت ألا أضيع وقتى فى دراسة تخصص غير مناسب لقدراتى، وإذا جمعت بين الدراسة والعمل، فلن أجنى سوى التعب والإرهاق، لذلك فضلت أن أستمر في الورشة التى كبرت وكبر معها

طموحى ثم أنشأت ورشة خاصة بى ومنها انطلقت للعالم الخارجى، ومن ثم أصبح لى اسماً في هذا العالم بالرغم من صغر سنى."

تبتسم له إحدى الفتيات، وتسأله:" هل معنى ذلك أن نترك الكلية ونذهب لنتعلم بعض الحرف و..."

يقاطعها أحمد سريعاً:" ما أقصده هو أن تعرف قدراتك الحقيقية، وبالتالى تفكر في أولوياتك كى تتمكن من تحقيق أحلامك الحقيقية وليس ما يريده الآخرون منك أن تحققه بالنيابة عنهم."

الحكاية الرابعة

كانت الفتاة المثالية في الصف الأول الإبتدائى، الجميع يشهد لها بالتربية الحسنة والذكاء وسرعة التعلم، فقد كانت محظوظة عن باقى الفتيات في الحى الشعبى الذى تسكن فيه، فأمها ربة منزل متعلمة، ولكنها فضلت ألا تترك بيتها وتخرج للعمل بل كرست كل وقتها لابنتها سمر وابنها طارق. كان طارق أيضاً متفوقاً في دراسته، فهو يكبر سمر بسنتين، دائماً ما تكون ملابسه نظيفة وكذلك كتبه وأدواته المدرسية.

ترك الأب الريف بعد حصوله على دبلوم التجارة ، وانتقل إلى وظيفته الجديدة كأمين مخازن في إحدى شركات إنتاج الدواجن الموجودة بإحدى المدن الجديدة البعيدة على أطراف العاصمة، ورافقته زوجته التى كانت حاملاً في شهورها الأولى إلى الشقة المكونة من حجرة نوم وصالة. كان من الصعب في منتصف الثمانينات الذهاب إلى خارج هذه المدينة،

وذلك بسبب قلة المواصلات كما كانت الحياة صعبة بسبب ملوحة المياة وقلة الموارد الغذائية إلى أن تغيرت الحياة بشكل سريع بعد زلزلزال ١٩٩٢، ونزوح المتضررين إلى هذه المدينة، والتى تغيرت معالمها بالتدريج ليطغى عليها طباع النازحين.

عاشت الأسرة حياة سعيدة إلى أن وصلت سمر إلى الصف الثالث الإبتدائى، ولكن مرض أبيها جعل طعم الحياة مريراً، فالأب مصاب بتليف حاد في الكبد بسبب البلهارسيا مما اضطر الأسرة إلى الإقتصاد في المعيشة، وخصوصاً مع خضوع الشركة التى يعمل بها تحت وطأة الخصخصة بسبب خسارتها الفادحة. كان الأب يسخر دائماً من خسارة شركة دواجن، فكيف لها أن تخسر والدجاج ينتج البيض يومياً؟!

تغيرت الأحوال بسرعة أمام أعين سمر وطارق، الذى ظهرت عليه آثار ما يمر به من ظروف صعبة وهو في الصف الخامس الإبتدائى،

والذى كان يراهن عليه أستاذه في الحصول على درجات عالية في الشهادة الإبتدائية، ولكنه عجز عن تحقيق هذا الهدف.

مات الأب بعد مرور شهر من الدراسة، وانغمست الأم في دوامة الأوراق الحكومية، وابتعدت عن سمر وطارق، اللذان كانا مشتتان بين صدمة رحيل الأب وانشغال الأم. تخلى عنهم الجميع، حتى الأقارب الذين كانوا يشعرون بالغيرة تجاه الأب الذى استطاع النجاة من أسر الأرض الزراعية، والعمل منذ مطلع الفجر إلى غروب الشمس في الطين، حيث اشترطوا على الأم الإنتقال إلى الريف مقابل المساعدة في إجراءات استخراج المعاش، ولكنها رفضت حتى لا يُهان أبنائها الصغار.

كانت الظروف تزداد صعوبة كل يوم عن الآخر، إلى أن اضطر طارق أن يترك المدرسة حتى يتسنى له أن يساعد الأم، وخصوصاً بعدما ضاع حق أبيهم في صندوق الزمالة الذى تم سرقته من قبل المسئولين في الشركة التى تمت خصخصتها.

جلس مع سمر في حجرتها، ونظر إليها مبتسماً ثم مسك يدها وقال لها:" إننى سوف اترك حلمى في أن أصبح طبيباً كى تحققيه أنتى، فلا تتخلى عنه مما حصل، أنتى أملى الوحيد في هذه الحياة" ثم ترك الحجرة، وتركها والدموع تنهمر على خديها.

عارضت الأم قرار طارق بتركه المدرسة ليذهب إلى العمل في إحدى ورش السمكرة الموجودة بالحى، ولكن في نفس الوقت، لم يكن في البيت سوى بعض فتات الخبز. صدم هذا القرار المدرسين الذين تكاتفوا من أجل توفير بعض المال لسد إحتياجات هذه الأسرة، ولكن عزة نفس الأم جعلتها ترفض هذه المساعدة.

أكملت سمر دراستها، ولكن ليس بنفس المستوى. فضلت الوحدة، متأملة كل ما يحدث حولها، فبعد أن كانت هى وأخيها المتفوقين الأوائل في المدرسة، أصبح يعود إلى البيت مسود اللون ويده تزداد خشونة يوماً بعد يوم. استطاعت بمجموع متوسط في الشهادة

الإبتدائية أن تنتقل إلى مدرسة البنات الإعدادية، وأن تعيش فى دوامة جديدة.

كانت جدتها تحرص على زيارتهم دائماً، وفى كل مرة تنصح ابنتها بالزواج، فلا يزال العمر أمامها كما لا يجب عليها أن تدفن نفسها بعد حظها الأول، ولكنها كانت ترفض إلى أن فاتحها طارق في هذا الأمر، وأن عليها أن تعيش حياتها كما تريد. تعجبت سمر من كلام طارق، وعاتبته، ولكنه نصحها بالتريث وعدم إصدار أحكام سريعة، فهى لا تزال صغيرة كى تفهم هذا الكلام.

تزوجت الأم قبل إلتحاق سمر بالمدرسة الإعدادية بشهر، مما كان له آثار سلبية على نفسيتها، ومع صمت الجميع على ما يحدث، رضخت الفتاة الصغيرة للأمر الواقع، وعليها أن تتقبل هذا الشخص الغريب الذى انتقل للعيش معهم، وأن تعتبره أبيها. مصطفى، كان اسمه، كان هادئ الطباع، مطلق، والسبب إنه لا يستطيع الإنجاب. ترك أهله في الريف، فقد كان أحد أقارب الأم، وجاء للمدينة ليبدأ من جديد.

فقدت سمر القدرة على التركيز، وتملكتها اللا مبالاة، وأصبحت عصبية ومزاجية بينما كان يقضى طارق معظم أوقاته- على غير عادته- في الخارج، لا يعلم أحد ما الذى يفعله. وجدت سمر مخرجها من هذه الدوامة بين زميلاتها الجدد في المدرسة الإعدادية، وتعرفت على بنات كثر، منهن الصالحات ، ولكن الغالبية العظمى متشوقون لمغامرات حب المراهقة. تغيرت نظرتها لجيرانها التى اعتادت أن تلعب معهم في الشارع كما أصبحت تهتم بمظهرها وشكلها كباقى الفتيات في سنها. أدركت الأم التغيرات التى تمر بها فتاتها، فاستعانت بالجدة كى تنتقل للعيش مع طارق وسمر بينما فضلت هى الإنتقال إلى الريف مع مصطفى، والذى يأس من إيجاد فرصة عمل.

شعرت سمر بغدر أمها لها، وأنها لا تصلح أن تكون أماً بالمرة، هكذا أخبرتها قبل رحيلها مع مصطفى. وأغلقت على نفسها باب الحمام، وأخذت تبكى. ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالى، ونشب بينها وبين أحد

المدرسين شجاراً، وتم استدعاء ولى أمرها، ولكنها سخرت أمام المديرة حيث لا يوجد ولى أمر لها. لم تبالى المديرة بكلامها، وهددتها إذا لم تحضر أبيها أو أمها في اليوم التالى، فلن تدخل المدرسة.

خرجت سمر من بيتها في اليوم التالى، ولكنها لم تذهب إلى المدرسة بل أخذت تسير في الشوارع هائمة إلى أن لمحها طارق الذى ضربها وعنفها ثم نظر إليها، وأخذ يذكرها بالإتفاق الذى بينهما. عادت سمر إلى البيت منهارة، وأخذت تفكر فى هذا الإتفاق الذى نسيته مع مرور الأيام إلى أن فاجئها الوجع المبرح أسفل بطنها، فإذا بجدتها تضحك لتخبرها بأنها أصبحت آنسة، وعليها الإعتناء بنفسها. كم كانت تود لو أن تشاركها أمها هذه اللحظات، هكذا تمنت في سرها.

انتقلت سمر إلى الشهادة الإعدادية، وبنيت هدفاً لها، ألا وهو أن تحصل على مجموع كبير يؤهلها للثانوية العامة كما عرض عليها طارق بألا تقلق من مصاريف الدروس الخصوصية، فهو مستعد أن يعمل ليلاً نهاراً كى تتمكن من تحقيق هدفها، ولكن ظهر مصطفى من جديد، فى

زيارة طارئة لسمر وطارق، وجلس مع الجدة لعدة ساعات، يتهامسون بحذر إلى أن خرجت الجدة عليهم لتخبرهم بقرار هام.

الجدة:" على سمر أن تتزوج، فقد كان حان وقت سترها"

محمد، ابن عم مصطفى، على مشارف الأربعين، يمتلك العديد من الأفدنة الزراعية، وسبق وأن تزوج مرتان، ولكنه لم ينجب. حاول كثيراً مع الأطباء والدجالين، ولكن دون فائدة إلى أن نصحه أحدهم أن يتزوج بفتاة صغيرة كى يتمكن من تحقيق حلمه فى الحصول على وريث، يرث اسمه وماله. لهذا، فقد وجد مصطفى فى سمر هذا الأمل الذى عن طريقه يستطيع هو الآخر أن يحقق حلمه في الحصول على المال كى يعيش سعيداً، ولكن الأم وقفت عقبة في هذا الطريق بسبب إصرارها على الرفض، لذلك ضربها وحبسها في البيت، وذهب بنفسه لإقناع الجدة ذات العمر المديد والبصيرة كى توافق على هذه الزيجة.

وقف طارق محاولاً أن يستوعب ما يقوله زوج أمه بينما جلست سمر تراقب نبرة صوت مصطفى التى تعلو حتى يرهب أخيها إلى أن ختم كلامه بأن كلام الجدة يسري على الجميع، ومع تهديد الجدة بتركهما للأيام والعودة من حيث أتت لأنها أصبحت كبيرة، ولا تستطيع خدمتهما أكثر من ذلك، رضخت سمر لهذا القرار فى حين أغلق طارق عينيه من الصدمة.

سمر:" عفواً أيتها المؤلفة، ولكن من حقى أن اختار طريقى"

المؤلفة :" ولكنى صاحبة الحق الأول، فأنا من رسمت حياتك من البداية"

سمر:" ولكنى صاحبة القرار فى النهاية، فأتركى لى المساحة أن اكتب سطور حياتى كما أريد، وليس كما تريدين أنتى والآخرين"

نظرتُ إلى مصطفى ثم إلى جدتى، وأخبرتهم بأننى أفضل أن أعيش مع أخى تحت أى ظروف، فهو من وقف بجوارى، وفضل أن يتخلى عن حلمه في أن يصبح طبيباً كى أحققه أنا. لم تتردد جدتى للحظات في أن

تصفعنى على وجهى، حيث أن أمى مهددة بالطلاق والطرد، ولكنى لم أهتم. مسك طارق بيدى أثناء صراخ مصطفى في وجهى كما لمت جدتى كل ما تملك في البيت، وفى غصون دقائق رحلا عن البيت.

جلستُ على حافة السرير بينما أخذنى طارق في حضنه، وهمس في أذنى بألا أخاف، فهو بجانبى ولن يتخلى عنى أبداً. سألته عن وضع أمى، فأخبرنى بأنها إذا أرادت العودة إلينا، فالبيت مفتوح لها في أى وقت. انتظرت أياماً وشهوراً، ولكنها لم تأت حتى لزيارتنا. إلتمست لها أعذاراً عديدة، وأفرغت كل طاقتى في المذاكرة إلى أن طرق الباب في أحد أيام ديسمبر، لنتفاجئ بأنها أمى.

عادت لتلومنى على ضياع الغنيمة التى أحضرها مصطفى لى، وتحدثت معى- وكانت المرة الأولى والأخيرة التى تتحدث معى- وأخبرتنى بأن الحياة لا تعرف الرومانسية والأوهام، فالواقع قد غيرها كثيراً عن الماضى. وإذا عادت بها الأيام إلى الوراء، فلن تختار أبى زوجاً

لها، فهى لم تحبه، ولكنها اضطرت للزواج منه لأن أهل مصطفى قد رفضوها بسبب امتلاك أبيها لبعض الأراضى التى لم تصل إلى نصف فدان، وهذا فى عرف مجتمعهم يعتبر فقيراً. جلس طارق في الصالة، وهو يستمع إلى كلامها بصمت إلى أن انتهت ثم دخل علينا الحجرة ليخبرها بأننا لسنا بحاجة لمثل هذه النصائح كما شكرها على هذه الزيارة السريعة.

غادرت أمى المكان، وقد غادرت من قلبى وذاكرتى للأبد، وأصبحت أنا وطارق عائلة وحيدة، وأدركنا بأن علينا مواجهة الحياة معاً. ذاكرت وأجتهدت، وحصلت على مجموع كبير وسط دهشة الجميع، وكبرت وقد كبر حلمى معى. لم انشغل بالحب كباقى الفتيات فى سنى بل انشغلت في الهدف الذى وضعته من أجل أخى، نعم أنا استطيع تحقيقه بالرغم من قصر اليد وقلة الحيلة، هكذا كنت أقول لنفسى. أفنى أخى حياته في سبيل توفير مصاريف دراستى إلى أن حققت حلمه، وإلتحقت بكلية الطب جامعة القاهرة.

كانت سعادته غامرة، بكى ..رقص.. ملأ الدنيا صراخ من شدة الفرحة، ولكن السعال لم يتركه في حاله، فقد كانت تزداد صحته سوءاً. طلبت منه أن يكف عن العمل، ولكنه رفض حيث أن الدراسة مكلفة للغاية وعليه أن يكمل طريقه. صممت على الذهاب إلى الطبيب كى يتم فحصه، وبالفعل ذهبنا معاً، وتباهى طارق أمامه بأنى سأصبح عما قريب طبيبة. كان هذا يزعجنى بعض الشئ، وخصوصاً فى المواصلات العامة، حيث كان يخبر الجميع بأننى طالبة في كلية الطب، ولكنى كنت ألتمس الأعذار له في كل مرة.

لم أكن أتوقع هذا التفاوت الكبير بين الحياة الجامعية والحياة المدرسية، لذلك فضلت الوحدة وعدم الإختلاط مع الآخرين. كنت ألاحظ أن البعض يتهامسون ويشاورن على، ولكنى كنت اتجنبهم، غير مهتمية بكلامهم عنى. كانت الدراسة صعبة إلى حد ما، وكنت أحاول جاهدة بأن أحصل على درجة النجاح. كما استطاع طارق أن يرسم لنفسه

هدفاً، وهو أن يمتلك ورشة خاصة به، وبالفعل بعد عدة سنوات استطاع أن يوفرها.

استطعنا أن نعبر طريق شاق دون الحاجة لأحد، تغيرت حياتنا من سئ إلى أفضل. لا أحد ينكر فضل الحياة الشاقة التى مررنا بها، فلولاها لما وصلنا لهذه الدرجة من الرضا وتحقيق الذات.

المؤلفة:" هذه القصة واقعية وجافة، لن تعجب أحداً ولن تثير تعاطف البعض"

سمر:" ولكنها قصتى أنا، لم يعيشها أحداً غيرى، لذلك فلن يشعر بها غير الذى عانى مثلى"

الحكاية الخامسة

يحمل علي، هذا الشاب الثلاثينى، العديد من الآلآم على عاتقه. لقد تخرج منذ عام ٢٠٠٨ من كلية العلوم بتقدير إمتياز، ولكنه لم يتم اختياره للتعيين كمعيد بسبب اختيار ابنة أحد الأساتذة العظام. لم يتملكه اليأس بل إزداد إصراراً، لذلك فبعد أربعة سنوات حصل على الماجستير، ولم يتم تعينه أيضاً. لم يتملكه اليأس أيضاً بل إزداد إصراراً، لذلك فقد قضى أكثر من سنتين لكى يبحث عن موضوع لرسالة الدكتوراة، ولكن في كل مرة يتم رفضه بدون أسباب واضحة. قرر في نهاية الأمر أن يبحث في التغيرات الكونية نادرة الحدوث، وتمكن بالفعل من إحراز تقدم في البحث. عندما عرضه على أحد الأساتذة بالكلية، نصحه بأن يبحث عن التغيرات الفيزيائية لإطارات سيارات النقل الثقيل لأن هذا ما يمكنه من العيش فى ظل الظروف الإقتصادية الصعبة- فالعلم لا يجدى فى بلد فقير- على حد تعبيره.

يعود علي إلى بيته متشائماً ومثقلاً بالهموم، فهو الآن على مشارف الثلاثين ولم ينجز أى شئ في الحياة، حتى الإنسانة الوحيدة التى أحبها، سوف تتزوج من ابن القهوجى الذى يسكن في العمارة المجاورة له لإنه ميسور الحال، ويمتلك المال والعمارات. حاولت أمه الست صفية التخفيف عنه، ولكن دون جدوى فحبه الوحيد، هناء خريجة كلية الصيدلة سوف تتزوج من محمد مرسى الغير متعلم. يعبر لصفية عن عدم جدوى الحياة فى هذا العالم، فكل شئ اختل توازنه، وعما قريب سوف يحل الدمار.

تصرخ منال جارتهم بأعلى صوتها من الشرفة، وتعبر عن خيبة أملها، وضياع شقاء عمر زوجها اسماعيل الذى أفنى ما يقرب من خمسة عشر في الخليج حيث أن ابنتهما سناء قد حصلت على مجموع سبعة وتسعون بالمائة، بعد كل هذا الجهد والتعب، وسهر الليالى، ومصاريف الدروس الخصوصية، وبالتالى لن تتمكن من الإلتحاق بكلية الطب. في حين يرتفع صوت الدي جي فى البيت المقابل، فخديجة ابنة المعلم

إبراهيم قد حصلت على الخامسة والسبعون بالمائة، وبالتالى سوف تتمكن من الإلتحاق بكلية الإعلام التى تريدها في إحدى الأكاديميات الخاصة.

ينظر على وصفية على أحوال الأسرتين المتناقضتين بينما يقاطعهما شجار حودة- صبى القهوجى- ومحمد مرسى ابن صاحب المقهى، حيث يتهمه محمد بالتعالى عليه بسبب حصوله على دبلوم الصنايع بينما ينعته حودة بالجاهل الذى لا يفهم شيئاً في الحياة، ولكنه محظوظ بسبب ثروة أبيه الحرامى صاحب المقهى- على حد تعبيره. يدخل علي حجرته ناقماً على هذه الحياة العبثية التى يعيشها بينما تنصحه أمه بالبحث عن عمل آخر غير العلم الذى لا يسد الجوع.

تتعالى زغاريد أهل الحارة، ويعلق العمال الزينة والمصابيح الملونة استعداداً لحفل زفاف محمد ابن المعلم مرسى على الدكتورة هناء، والتى تعتبر أول صيدلانية بين أهل الحارة وسط همزات ولمزات النساء الذين

يحمدون الله على تدنى مستوى بناتهم التعليمى حتى لا يصيبهم ما أصاب هناء العانس. يعلم الجميع أن هدف المعلم مرسى من هذه الزيجة هو أن يفتتح صيدلية باسم هناء لتأتى عليه بالنفع كما أن ابنه مخيب لآماله طوال الوقت، لذلك فكر في هناء كى ترفع من شأنه بين المعلمين الآخرين. وافقت الست لوجى- أم هناء- على الفور حيث أن ابنتها على مشارف الثلاثين، ومن المحتمل أن يفوتها قطار الزواج بسبب خائب الرجاء علي ابن الأستاذ تامر- رحمه الله – والذى يعتقد بأن العلم هو المستقبل!

حاول علي وهناء التصدى لهذه الزيجة، ولكن باتت كل محاولاتهم بالفشل، فالست لوجى استعملت المثل الشهير"الزن على الودان أمر من السحر" لتوعى ابنتها بأن الست مهما وصلت لأعلى المراتب، فلن يفيدها غير زوجها وعيالها.

يجلس علي فوق السطح متأملاً السماء الصافية بينما يتفرج أهل الحارة على العريس والعروسة وأمامهما الراقصات يزفونهن إلى الكوشة.

يمسك المعلم مرسى الميكرفون من النبطشى ليعرف الجميع بأنه هو الذى اشترى الشقة، والعفش، والمطبخ، والصالون، والستائر حتى ملابس العروسة فهو من اشتراها، في إشارة إلى قدرته على شراء ما يريد في هذه الحياة. تلوى صفية- التى تقف في الشرفة تتابع الفرح- شفتاها، وتلوم هناء على ترخيص نفسها بهذا الشكل، فالراجل الناقص يعلن أمام الجميع بأنه اشتراها هى وأمها لوجى وأبوها عبد البصير!

يذهب حودة إلى علي ليعلن له رفضه ما يحدث في الأسفل، وأنه مؤمن بالعلم وبه شخصياً، فهو يأمل في أن يصبح شخصية فريدة من نوعها مثل زويل أو مجدى يعقوب أو فاروق الباز، ولكن يرد عليه علي بفتور. يخرج حودة من جيبه سيجارتين كى يتمكنا من الصعود إلى المريخ، فيوافق علي بعد إلحاح شديد، ويدخنان معاً.

تفتح صفية شباك حجرتها فى صباح اليوم التالى لتجد أن السماء قد أصبحت بنفسيجية اللون، لم تصدق ما تراه، فتعاود النظر من جديد ثم

تصرخ بأعلى صوت لها حيث تعتقد بأن القيامة قد قامت، وهذا وقت الحساب. تذهب إلى حجرة علي لتوقظه هو وحودة، وتخبره بأن السماء تحولت إلى البنفسيجى، فيمسك علي بياقة حودة ويسأله عن مصدر السيجارة التى دخنها معه بالأمس ثم يتذكر البحث الذى رفضه أستاذه في الكلية.

تتعطل الحياة في مصر، وتزدحم السيارات في الشوارع بينما يحاول علي أن يسير في الشوارع التى يعمها الفوضى ثم يقتحم بعض البلطجية الأسواق التجارية والمحلات ويقومون بسرقة كل شئ. يصل علي إلى منزل أستاذه الذى ينصحه بالمكوث في المنزل حتى تصل الحكومة إلى حل سريع وفعال، فلابد أن هناك بعض الجهات الإرهابية وراء هذا الحادث، وأن يكف عن العلم والنظريات العلمية الفارغة حفاظاً على حياته.

تنقلب الحياة رأساً على عقب في الحارة، وتعتقد لوجى بأن أهل الحارة الأشرار قد صنعوا عمل لابنتها ليلة الدخلة، ولكنها لن تستسلم، وسوف تقوم بعمل زار حتى تعود الحياة لطبيعتها من جديد.

تغلق صفية الأبواب والشبابيك بالمسامير خوفاً من يأجوج ومأجوج حيث سمعت أحد الشيوخ يدعى بأن القيامة قد اقتربت بينما يذيع التليفزيون توجهات الحكومة لحل هذه الأزمة التى حلت بالبلاد. يحاول علي أن يشرح لها أن ما حدث ظاهرة كونية كما أن المسامير لن تمنع القدر من الحدوث، ولكنها لا تعيره اهتماماً ثم بعدها بلحظات يتم إذاعة بيان من السادة الوزراء بأنهم استقالوا من مناصبهم. يجلس علي داخل حجرته يراسل الدكتور دانيال الذى يعمل فى محطة الفضاء الغربية، ويقوم بإرسال البحث الذى رفضه أستاذه في الجامعة. تنادى صفية على علي كى يشاهد معها التليفزيون، ولكنهم يتفاجئوا بأن رئيس

الوزراء يلقى بياناً رسمياً يدعو من خلاله المؤهلين من الشعب إلى التقدم بحلول للخروج من الأزمة الحالية في صباح اليوم التالى.

يقف طابور طويل أمام مكتب رئيس الوزراء، الذى يبدو عليه خيبة الأمل من جهل وضعف مستوى المتقدمين، فهو لم يكن يتوقع تدنى فئة كبيرة من الشعب بهذا الشكل، لذلك قرر أنه عندما تنتهى هذه الأزمة، سوف يضع التعليم على قائمة الأولويات.

يجتمع رئيس الوزراء مع رؤوساء المخابرات العامة والحربية ليكتشف أن هناك شاباً يدعى علي يراسل محطة الفضاء الغربية التى من المحتمل أن تكون وراء ما يحدث من تغييرات كونية. يتم القبض على علي، ومن ثم يتم احتجازه في أحد السجون لإستجوابه.

على جانب آخر، يشعر دانيال بالمسئولية تجاه وطنه الأول- مصر- لذلك يترك محطة الفضاء الغربية، ويذهب إلى مصر بعدما اتطلع على بحث علي وأعجب به. يذهب إلى مقر المخابرات الحربية ليناقش الوضع

الراهن، ويطلب من السادة المسئولين أن يستعين بعلي كى يساعده في هذه المهمة.

يبحث رئيس الوزراء مع القادة والعسكرين تداعيات الوضع الراهن، ويتضح أن الحياة قد توقفت منذ انعدام وصول الشمس إلى الأرض حيث أن النباتات ماتت، وكذلك الحيوانات كما أن الموارد كادت أن تنفذ، ومن المؤكد أنه سوف تحدث مجاعة خلال الأيام القليلة القادمة.

يشعر الأساتذة بالكلية بالغيرة تجاه دانيال الذى استطاع أن يترك بصمته خارج البلاد بعدما أن قاموا بتطفيشه، واعتادوا أن يسخروا منه بسبب أحلامه. يرى دانيال نفسه في علي عندما كان شاباً، ويلومه على إحساسه باليأس، وكان عليه أن يطرق كل الأبواب، ولم يكتف بباب واحد.

يقوم دانيال وعلي بإنجاز المهمة إلى أن يتمكنا من إختراع قنبلة لديها قدرة على امتصاص اللون البنفسيجى من السماء لتحويله إلى اللون الأبيض، وبالتالى تعود الحياة إلى طبيعتها. يعلن دانيال أمام الصحف والقنوات الفضائية عن هذا الإنجاز، ولكن يا فرحة ما تمت! يتم سرقة الإختراع ليلاً، ويتم اغتيال دانيال، وبالتالى تتوقف الحياة.

من ناحية أخرى، يتم خطف علي من قبل الأعداء الذين يريدون تصليح القنبلة التى وقعت أثناء سرقتها ومن ثم تعطلت. يرفض علي في بداية الأمر، ولكن بعدما فكر في الأمر، اكتشف أن مصر لم تقدم له شيئاً، فهو فى دوامة الفشل والضياع منذ زمن، ولم يحقق أى إنجاز بسبب العراقيل التى تسبب فيها أصحاب النفوذ.

يهم بتصليح القنبلة، ولكن شيئاً ما يوقفه، شئ ليس له وصف أو صفة، ينبع من داخله بأن هذه البلاد تستحق ما هو أفضل ولو بعد معاناة. لم يصلح علي القنبلة، ولكنه استطاع الهروب ليذهب بمصاحبة حودة – الذى استعان به-إلى معمل الكلية كى ينفذ القنبلة. يطارده

الأعداء ويحاولون سرقة القنبلة، ولكن يتمكن علي بمساعدة حودة الفرار من الجامعة وأن يذهب إلى أعلى منطقة في هضبة الهرم لتنجح التجربة، وتقوم القنبلة بإمتصاص اللون البنفسجى وتحويله إلى اللون الأبيض.

يتم تكريم علي من رئيس الوزراء الذى يثنى على إجتهاده وعمله، ولكن يشير علي في كلمته أمام الجماهير بأن العلم هو المستقبل وأن المال زائل. كما يجب على المرء ألا يفقد إيمانه بنفسه حيث أن اليأس للضعفاء والمجد للأقوياء. بالإضافة إلى أنه ينبغى علينا أن نحاول وأن نطرق أكثر من باب، فمن المؤكد أن هناك من سوف يسمع طرقات أيدينا يوماً ما.

الحكاية السادسة

كان حلمه الوحيد أن يصبح فناناً مشهوراً، وكان يعتبر الفنان الراحل أحمد ذكى قدوته ومثله الأعلى. كان ضعيف المستوى في السلم التعليمى، ولكن قصر اليد كان بمثابة عقبة له فى تحسين مستواه كى يتمكن من الإلتحاق بالثانوية العامة، فاكتفى بالإعدادية.

حياته لم تكن سهلة أو عادية مثل أى طفل، ولكن حلمه كان يطارده أينما ذهب. إلتحق بمسرح قصر الثقافة التابع للحى الذى يسكن فيه، وفى إحدى الفاعليات الثقافية التى كانت تعرض فى مبنى الحى، تم إكتشافه من قبل أحد المخرجين الكبار الذين حضروا العرض. سعد بهذه النقلة التى لم يكن يتوقعها بالرغم من الصعاب التى يعيشها، فهو يجمع بين عمله في المصنع وبين ذهابه لقصر الثقافة، ولكن لم يعجب أبيه هذا الكلام، ورفضه بشدة وعنفه حتى يخرج التمثيل من تفكيره للأبد.

كان يعتقد أبيه أن التمثيل رفاهية لمن يمتلك متاع الحياة، ولكنهم لا يمتلكون سوى الفتات، وعلى هذا فلا مكان للأحلام لديهم.

لم يسستلم بل عافر لكى يصل إلى مراده السامى، وبالفعل تمكن بمساعدة أخيه الكبير فى الذهاب لمقابلة المخرج الكبير في الأستديو، وقد أعطى له دوراً صغيراً لمدة دقيقتين لكى يقوم بتمثيله. كان المخرج يعتقد بأنه بذلك سوف يكسب سمعة طيبة بمساعدة ذوى المواهب الحقيقية، ولكنه في حقيقة الأمر كان يريد أن يتخلص من اتهام وسائل الإعلام بأن الفرص تعطى فقط لأبناء الممثلين والممثلات وأن الفن أصبح وراثة ككل شئ من حولنا.

ظهر في الدقيقتين أمام أهل الحى الذين كانوا يتابعون المسلسل على شاشة التليفزيون الأرضى، وسعد بهذا لدرجة كبيرة. اهتم صاحب المصنع بحكايته، لذلك دعاه عنده في مكتبه، ونصحه بإكمال تعليمه كى يتمكن من الإلتحاق بأكاديمية الفنون، فالتعليم مهم للإنسان صاحب

الطموح. بهذه الكلمات البسيطة من صاحب المصنع، إزدادت ثقته بنفسه، وأعلن عن رغبته في الإلتحاق بالتعليم الفنى بسبب مجموعه الصغير الذى لم يؤهله لمرحلة الثانوية العامة. ومن بين معارض ومؤيد، استطاعت والدته أن تقنع أبيه في أن يلتحق بالمدرسة الثانوية الفنية القريبة من المنزل. مرت السنوات، وكبر معها حلمه في أن يتقدم للمعهد العالى للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون. وبالفعل اشترى ملف للتقديم، واجتاز جميع الإختبارات بالرغم من سخرية بعض المتقدمين من ملابسه المهرولة ، والتى تدل على الطبقة الدنيا القادم منها.

إلتحق بالمعهد وسط دهشة جميع من حوله، لم يعنفه أبيه بل حضنه وبارك له ليبدأ حياة جديدة. كانت تراه أمه بأنه أمل هذه العائلة التى سوف ينقلها لحياة أفضل يوماً ما، وبالفعل صدقت نبوءتها. ففى خلال سنتين أصبح متواجد على الساحة ببشرته السمراء، وشعره المجعد، وابتسامته البريئة. تغيرت نظرة الجميع له، كان متواضعاً، فقد كان

يذهب إلى الندوات ومقابلة الشباب لكى يعطيهم أمل وطاقة إيجابية بنقل تجربته إليهم، وأن يوضح لهم بأن الحياة لا تتوقف أمام المصاعب.

لم يدم الحال هكذا طويلاً، فالمواقف تعكس معادن الناس. حدثت النقطة الفاصلة في حياته فى وقت لم يكن يتوقعه أحد، وغامر مع أحد المخرجين الشباب في أحد الأفلام التى كانت تعتبر الإنطلاقة الحقيقية له. أصبح عامل مؤثر في الشارع المصرى، مثل أعلى للمراهقين الذين يحاربون من أجل إثبات أنفسهم بين أفراد الأسرة، يقومون بتقليد حركاته، وترديد إفيهاته. لم يعد يحضر الندوات أو يقابل الشباب أو يقابل أحد على الإطلاق. أطلق على نفسه نجم النجوم المحبوب من الجميع. انهالت العروض عليه من جميع شركات الإنتاج، انتقل إلى فيلا فخمة، وترك الحى الذى يسكن فيه، وانتقلت معه عائلته. أصبح العديد يأملون في التحدث معه، ولكنه كان يرفض معللاً بأنهم أذاقوه المرار عندما كان فى البداية.

لم تنتهى الحكاية هنا بل استطاع أن يصل صيته إلى الخارج، ويؤدى العديد من الأدوار في هوليوود، وفرنسا. ومن ثم إزدادت شعبيته بين الشباب الذين يحفرون في الصخر من أجل تحقيق ذاتهم بأنفسهم دون الإعتماد على أحد سوى الثقة بأنفسهم. كانت الحالة العامة التى تسرى بين الشباب حينها مثيرة وممتعة، فالجميع اتخذه مثالاً بالرغم من انتقاد فئة المثقفين وعمالقة الفن له، ولكن كان الجميع يردد بأنهم يغيرون منه بسبب ما حققه من نجاح بالخارج، فهو أول ممثل عربى يحصل على الأوسكار.

كان يشعر بينه وبين نفسه بأنه لم يشعر بالشبع بعد، فهناك المزيد في انتظاره ليحققه. أنشأ شركة إنتاج خاصة به، واشترى العديد من دور العرض كى يتمكن من عرض أفلامه فيها. انتشر كالفيروس بين وسائل الإعلام المختلفة، وعلى صفحات السوشيال ميديا. صور إعلاناته على جميع الطرق الرئيسية، وفى محطات المترو، والحدائق العامة.

شعر بالفراغ الداخلى، فتزوج وأنجب، وأصبحت لديه أسرة يتصارع الجميع كى يأخذوا صور تذكارية معهم أينما ذهبوا. حياة مثيرة وممتعة وشيقة، لم يكن يتوقع حدوثها يوماً ما بل كان يحلم بها منذ أن كان يعمل في المصنع، ويفترش الأرض ليتناول وجبته بجوار الماكينات الضخمة. كان يكره رائحة الكيروسين التى تنتشر في المكان، ويغسل يداه الآف المرات كى يزيل عنهما الشحم. لم ينقم على حياته السابقة بل كان يقدسها، فلولاها لم استطاع أن يحلم بحياة أفضل.

ولكن سبحان المولى المتعالى العاطى الوهاب، الذى لا يدوم غير سواه. فى أحد الأيام أثناء التصوير، وقع على الأرض مغشياً عليه دون أسباب. ذهب على الفور إلى المستشفى، ورقد يوم واثنين هناك بينما احتار الأطباء في تشخيص حالته الصحية.

اهتمت وسائل الإعلام بما حدث له، وقام بزيارته الجميع حتى أعداءه كنوع من الدعاية لأنفسهم. عاد إلى منزله بعدما ذهب في رحلة

علاج إلى الخارج أجمع خلالها جميع الأطباء بأنه سليم، ولكنه ربما يعانى من مرض نفسى أو تعرض لصدمة ما أثرت عليه سلبياً.

غاب عن الساحة، أصبح مزاجى وعصبى طوال الوقت، اتجه إلى القمار وخسر كل ما يملك تدريجياً إلى أن ابتعد عنه الجميع، وأصبحت فضائحه تتصدر عنوانين الصحف والمجلات. خسر كل ما جمعه خلال تسع سنوات في سنة ونصف فقط.

أصبح شريداً، ينام في الشوارع، يمد يده للناس لكى يسد جوعه. لم يتعرف عليه أى أحد من العامة، وعندما يجن جنونه يجرى على كوبرى قصر النيل وهو يصرخ بأنه ممثل مشهور، لم تلد هذه البلاد مثله بينما كان يضحك الجميع.

استطاع أن يسافر إلى الإسكندرية، واتخذ شاطئ البحر ملاذاً له. استيقظ يوماً ما على فرقة شارع من الشباب المراهق تقيم عروضاً بدون أجر على المصيفين. اقترب منهم، وقد تعرفوا عليه. أكرموه وعرض عليهم أن ينضم إليهم. قام بتدريبهم، وتعليمهم، وتوجيههم ثم سافر

معهم في أنحاء الإسكندرية ليؤدوا بعض العروض على العامة فى الشوارع ومحطات التيرام وأمام الشواطئ إلى أن عثر عليه صحفى مغمور، استغل الصورة التى ألتقطها له مع الفرقة لينزلها على السوشيال ميديا، ومن ثم عاد ليلمع نجمه من جديد.

عاد فلاش الكاميرات يلاحقه، والجميع ينظر إليه بترقب متسائلاً ما إذا كان سيعود من جديد ليعيدد مجده الذى أضاعه بيديه بعد أن استطاع تحقيق الصعاب، ولكنه ابتعد عن الأضواء وفضل الوحدة ليعود من جديد للشاطئ.

أخذ أعضاء الفرقة يبحثون عنه ليلاً نهاراً إلى أن عثروا عليه في أحد الشواطئ يبيع الفرسكا، وقد طول لحيته كى لا يتعرف عليه أحد. رفض الإنضمام إليهم من جديد، معللاً ذلك بأنهم يستطيعون إكمال المسيرة وحدهم. وصفوه بالجبان، ولكنه أوضح لهم بأن الحياة قد لقنته درساً لن ينساه ألا وهو أن الشهرة نقمة لا تغتفر، والتعالى خطيئة لا تمحى من

ذاكرة البشر، لذلك عليهم التواضع طوال طريقهم حتى لا يصبهم الغرور، ومن ثم السقوط في الهاوية.

تركهم يتأملونه في صمت بينما أخذ ينادى على الفرسكا ثم غادروا المكان بخيبة أمل. ترتطم الأمواج بقدمى الفنان الذى كان مشهوراً يوماً ما، وها هو يحمل الصندوق فوق كتفه محاولاً أن يحصل على قوت يومه.

الحكاية السابعة

يرى شريط حياته يمر من أمام عينيه سريعاً بينما لا يستطيع أن يوقفه. نبضات قلبه تقل كل لحظة عما قبلها، لا يستطيع التنفس. وفجأة، يرى نفسه يطير إلى السماء بينما يجد جسده ملقى على الأرض، ومن حوله يتجمع الناس محاولين إنقاذه في حين تتساقط قطرات الأمطار عليه. لم يتردد في الذهاب إلى أعلى لعل هناك مكاناً أفضل مما عاشه على الأرض، ولكن توقفه سحابة تحيل بينه وبين الصعود لأعلى.

يبذل قصارى جهده لكى يذهب لأعلى، ولكن السحابة تحول بينه وبين السماء. يضطر بأن يهبط لأسفل ثانية ليعود إلى جسده الملقى على الأرض، ليفيق ويأخذ نفسه بعمق. ينظر إلى الناس التى تتجمع حوله بدهشة، والذين يساعدونه على النهوض ثم يغادرون من حوله كالمعتاد.

اعتاد أن يسير بلا هدف في الشوارع أثناء ليالى الشتاء الباردة إلى أن يقف تحت بيته، لينظر إلى شباك الصالة المنير بينما تجلس أمه بالقرب منه، وهى تسرح بنظرها بعيداً ويبدو عليها الهم والحزن. يغادر بعدها بدقائق حيث يعلم فى قرارة نفسه أنه السبب فيما آلت إليه الأمور، ولن يستطيع تصليح سمعته أمام أسرته حيث أن الوقت قد فات كما أن الفرصة لا تأتى للإنسان سوى مرة واحدة.

لقد تخرج من كلية التجارة بتقدير جيد، حاول أن يحصل على وظيفة مناسبة، ولكنه فشل. عانى من الإكتئاب الشديد، ومن ثم فضل الإنعزال والوحدة. زملائه من حوله استطاعوا عبور هذه المرحلة التى يقع فيها سواء عن طريق الزواج بمساعدة الأهل أو السفر للخارج للبحث عن فرصة حياة جديدة بمساعدة الأهل أيضاً. لقد كان يتيم الأب، ليس لديه من يقف بجواره ليرشده إلى الطريق، أى طريق، ولكنه لم يجد يداً ممدودة إليه.

شجعته أمه على البحث عن عمل من جديد، فربما يعثر على طريق مناسب له. بعد فترة تم تعينه بعقد فى إحدى المحلات التجارية الشهيرة، وهناك تعرف على ممدوح، ذلك الشاب المبتهج طوال الوقت، والذى أدرك ما يعانيه من آلآم نفسية من النظرة الأولى حيث أن ممدوح استطاع أن يتغلب على هذه المحنة، فالجميع دائماً ما يعانون الإكتئاب والشعور بالضياع بعد الإنتهاء من السلم التعليمى. ممدوح صاحب مقولة شهيرة وهى أن الحكومة لم تعلمنا كيفية خلق أهداف لأنفسنا بل اعتمدت على حفظنا للمناهج كى نحصل على الدرجات التى تؤهلنا للإلتحاق بالجامعة، وبالتالى فمن الطبيعى أن يكون الإكتئاب هو مصير حديثى التخرج.

توطئدت علاقته بممدوح، والذى استراح إليه كثيراً. وأصبحا أصدقاء مقربين لبعضهما البعض، وفى إحدى المرات عرض عليه ممدوح، عندما كانا في فرح أحد أصدقائهم فى العمل، سيجارة حشيش. تردد

كثيراً قبل أن يدخنها ليجد نفسه فى عالم آخر، عالم يبتعد كثيراً عن العالم الواقعى ولا يمت له بصلة. أعجب بالحشيش، وأدمنه، فقد وجد فيه الراحة والسعادة والإطمئنان، يرتمى بين أحضان السيجارة ليعيش وهماً زائفاً يرى فيه السعادة متجسدة أمامه فى صورة هلاوس بصرية.

أضاع مرتبه على الحشيش، وواجه مشاكل مع أمه وأخوته البنات الذين تحولت حياتهم لجحيم بسبب سوء سلوك أخيهم الوحيد. حاولت أمه أن تبعده عن هذه اللعنة التى أقحم فيها نفسه، ولكنها فشلت بإمتياز. نجحت فى الوصول إلى ممدوح، والذى حذرته من الإقتراب من ابنها أو أن يقعه في الظلمات، ولكن ممدوح تفوق عليها في قلب كفتى الميزان حيث عايره ممدوح أمام زملائه بأنه لا يزال ابن أمه المدلل الذى تذهب لتدافعه عنه.

عاد إلى المنزل غاضباً، وأخذ يلوم أمه على هذا الفعل. حاولت أن تبرر له دوافعها للقيام بهذا الفعل، ولكن دون جدوى، فقد صغرته أمام

زملائه. اختلطت أصواتهما، تجمع الجيران، انفعل كما انفعلت هى بدورها إلى أن تطاول عليها، فصفعته على وجهه وعم الصمت.

تبادلا النظرات طويلاً إلى أن انسحب خارج البيت، متجاهلاً منادتها له. ذهب إلى ممدوح الذى استقبله بترحاب، وفتح له شقته ثم استدرجه للكوكايين كى يتخلص من شقاء الدنيا قاسية القلب. أهمل وظيفته، ضعفت صحته، تم طرده من العمل ليجد الشارع فاتحاً له ذراعيه بترحاب كبير على غير المعتاد.

عامله ممدوح بغلظة كما طالبه بالمال كى يستطيع تلبية إحتياجاته، لم يجد سبيلاً سوى السرقة كى يتمكن من الحصول على المخدر الذى يدفعه للإستمرار في الحياة. إزدادت حالته سوءاً يوماً عن الآخر بالإضافة إلى المعاملة اللاآدمية التى اعتادها من ممدوح. وفى إحدى لحظاته التعيسة، وهو جالس أمام باب بيت ممدوح يتذلل له بأن يسمح له بالدخول، تمنى لو يعود به الزمن كى يسمع نصيحة أمه بالإبتعاد عن هذا الخبيث. دخل

إلى أحد الصيدليات بعد منتصف الليل، وحاول الإعتداء على العاملين بها من أجل الحصول على المواد المخدرة، ولكنه لم يستطع مقاومتهم حيث تكاتفوا لطرده للخارج.

تساقطت الأمطار عليه، وهو بالكاد يستطيع أن يسير على قدميه إلى أن وقع على الأرض، ونظر إلى السماء باكياً ثم انسحبت روحه ببطء شديد ثم رأى شريط حياته يمر من أمام عينيه سريعاً بينما لم يستطع أن يوقفه. نبضات قلبه تقل كل لحظة عما قبلها، وانقطعت أصوات تنفسه.

"مات؟!" سأل أحد الملتفين حوله، حيث تجمع الناس حول جسده الملقى على الأرض، لا حول ولا قوة له، تطوع أحدهم لينعش قلبه، ليعود إلى الحياة من جديد.

هل هى فرصة أخرى؟ لماذا لم يستطع أن يعبر إلى السماء؟ ما هى الحكمة وراء عودة روحه من جديد إلى جسده؟ هل ما رآه كان حقيقياً أم كان يهذى؟ كلها أسئلة تجمعت فى عقله، وهو جالس على مقعد حديدى

شديد البرودة في إحدى محطات الأتوبيس، وفى يده كيس عصير أعطاه له الرجل الكبير كما أحضر له شاباً بعض الساندوتشات.

أخذ يتأمل مصيره من زاوية أخرى، فبالتأكيد أن هناك رسالة واضحة من وراء ما حدث له. عاد ثانية إلى الصيدلة التى تم طرده منها، فقابله العاملين بها بهجوم عنيف، ولكنه طلب منهم أن يرشدوه إلى مكان يتمكن من خلاله أن يتعالج من الإدمان. وقف الجميع في حالة من التردد والتوجس، فسرد عليهم ما حدث له وهو يبكى حيث يعتقد أن الله يريد أن يعطيه فرصة للبداية من جديد.

عرض عليه أحد العاملين أن ينام معه فى حجرته المتواضعة فوق أحد الأسطح حتى الصباح، ولكنه رفض وفضل أن يجلس في انتظار الصباح كى يذهب إلى المصحة الذى كتب له الصيدلى عنوانها فى ورقة ملفوفة وبداخلها بعض المال. نظر فى الورقة ثم إلى الصيدلى والعاملين، ووعده برد المبلغ عندما يشفى ويستطيع أن يواجه الحياة.

خرج من الصيدلية دون وجهة معينة ثم سمع آذان الفجر، فوقف أمام الجامع، وهو متردد أن يدخل حيث آخر مرة دخل الجامع لكى يصلى الجمعة كان منذ ما يقرب من سنة أو ربما أكثر. اقترب منه شيخاً كبيراً، ومد إليه يده ليدخل معه الجامع. أخبره بأن الله يحب الطاهرين، ولكنه ليس بطاهر، فقد ارتكب العديد من الأخطاء التى من المستحيل أن يسامحه الله عليها. ابتسم له الشيخ، ونصحه بأن يجرب أن يتقرب إلى الله، فهو الغفور الرحيم.

دخل إلى الجامع، وتوضأ ثم صلى مع المصلين، واتخذ على نفسه عهداً أمام الله بأن يبدأ من جديد. اقترب منه الشيخ، وسأله عن سبب سوء ظنه بالله، فأخبره بحكايته. ذهب مع الشيخ إلى بيته بعد إلحاح كبير كى يرتاح ليبدأ حياته الجديدة، وعرض عليه الشيخ أن ينام في حجرة ابنه، ولكنه رفض وفضل أن ينام على الأريكة فى الصالة.

وضع رأسه على الوسادة لينام نوماً عميقاً، ولكن سرعان ما استيقظ بسبب الوجع وحالة الإعياء التى أصابته بسبب احتياجه الشديد للمخدر. لم يدرى الشيخ كيف يتصرف معه، ولكنه تذكر المال الذى أعطاه له الصيدلى، وحاول أن يخرج كى يجلب الجرعة، ولكن الشيخ وقف عقبة بينه وبين الباب.

ترجاه بشدة أن يمنحه الفرصة كى يتخلص من هذا الألم، ولكن الشيخ أخذ يذكره بوعده أمام الله. هدد الشيخ، وحاول ضربه، ولكن الشيخ كان قوى البنيان ولا يزال يحتفظ بعافيته، فلكمه على وجه ليسقط على الأرض مغشياً عليه.

فتح عينيه ليجد نفسه داخل المصحة حيث اتصل الشيخ بالإسعاف كى ينقلوه إلى المستشفى، وهناك تم تحويله إلى المصحة كى يتعالج من الإدمان. كان يتردد عليه الشيخ لزيارته من فترة إلى أخرى كما تعلم أن يصمد فى مواجهة الألم كى يستطيع النجاة، وأن ينفذ وعده أمام الله.

استطاع أن يعبر المحنة بمساعدة من حوله كما اعتبر الشيخ بأنه أباً حقيقياً له حيث مد يده إليه دون تردد، وكأنه رسالة من الله. وبعد مرور سنة ونصف فتحت أمه باب الشقة لتجده واقفاً أمامها، لم يتحدثا بل أخذا ينظران إلى بعضهما البعض فى صمت ثم ارتمى فى حضنها وبكى.

الحكاية الثامنة

تنظر مى إلى أختها سها التى تسألها إذا كانت نادمة على قرارها أم لا، فتعود بذاكرتها للوراء.

يحسدها الجميع على الحياة السعيدة التى تنعم بها مع أسرتها الصغيرة، فزوجها أسعد مثال محترم للرجل العصامى الذى يحتذى به كما أن أبناءها سلمى وجاسر يتميزان بشدة التواضع. لقد استطاعت هذه الأسرة أن تحقق نجاحات باهرة أمام الجميع. فالأم، مى، مدرسة جامعية ناجحة لديها العديد من الأبحاث العلمية التى تصب في مصلحة البشرية كما أنها زرعت بداخل أبناءها مبدأ الإعتماد على النفس كى يستطيعوا مواجهة الحياة. سارت الحياة بهدوء إلى أن هبت العاصفة بدون مقدمات لكى تقتحم حياتهم.

تبتسم مى إليها، وتخبرها بأنها ليست نادمة على أى قرار اتخذته للحفاظ على كيان أسرتها، ولكن ما حدث لن تستطيع تحمله وحدها، فالصدمة كبيرة عليها.

يعود أسعد من العمل مرهقاً كالمعتاد بينما تحضر مى العشاء لأفراد أسرتها، حيث أنها الوجبة الوحيدة التى يتجمع شمل الأسرة عليها. يرن موبايل أسعد أكثر من مرة، وفى كل مرة تطلب منه مى أن يرد، ولكنه يخبرها بأنه متعب للغاية.

تضحك مى بسخرية وتخبر سها بأنها كانت تعتقد أن الحياة الهادئة هى الوسيلة الوحيدة لإستمرار الزواج، والمحافظة على الأسرة، ولكنها كانت مخطئة. تحاول سها أن تخفف عنها، فيبدو على مى الحزن الشديد والصدمة بينما تصدها مى حيث أنها ليست بحاجة إلى أى أنواع من المواساة.

تحرص مى على أن يمر كل شئ بإنتظام، وكما هو مرتب له. فالأبناء ينامون في أوقاتهم، وهى تنتهى من واجباتها في تمام التاسعة مساءاً كما لا تسمح لأسعد بأن يعمل داخل البيت، فيكفى شقاؤه طوال اليوم.

تستيقظ من نومها على صوت همهمة قادم من الشرفة، تنظر بجوارها لتجد أن أسعد ليس بالفراش، فتقوم لتبحث عنه ثم تتوقف عندما تسمعه يتحدث في الموبايل ويقول بأنه ليس مجبراً على الإعتراف بهذا الطفل، فهو لم يعد الفتاة التى يتحدث معها بالزواج كما أن كل شئ تم بإرادتها. تُصدم مى، وتتسمر فى مكانها لبضعة ثوانى لتنتبه بإنهاء أسعد المكالمة، فتجرى على أطراف أصابعها لتعود إلى السرير، وتحبس أنفاسها حتى لا يشك أسعد بأنها قد سمعت المكالمة.

فى صباح اليوم التالى، تجلس أمام الفطور صامتة، فيسألها أسعد عن الذى أصابها، فتخبره بأنها تسعر ببعض التعب، لذلك فهى لن تستطيع الذهاب إلى الجامعة. يعرض عليها أن يذهبا إلى المستشفى للكشف

عليها، ولكنها ترفض ثم تتركه لترتاح. تأكدت من مغادرته البيت، لتبدأ رحلة البحث عن أى شئ يدلها على الفتاة التى كان يحدثها في الليلة السابقة، ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل.

تسألها سها عن حياتها، وإذا كانت سعيدة بها أم لا. تنظر إليها مى، وتهز رأسها بالنفى، فهى لا تستطيع أن تخرج التجربة المريرة التى مرت بها من أعماقها لكى تستطيع أن تبدأ من جديد.

تتناول قهوتها وهى تفكر في إيجاد طريقة تستطيع من خلالها أن تعرف هوية هذه الفتاة إلى أن تلمع عيناها، وترفع فنجان القهوة لتشربه على مهل. تذهب إلى إحدى محلات الموبايل، وتشترى موبايل ليس بحديث ثم تشترى خطاً، وتشترك في إحدى العروض المقدمة من شركة الإتصالات المشتركة فيها. تنتظر بفارغ الصبر اليوم التالى الذى أتى بعد قلق لتتناول الفطور مع أسعد كالمعتاد ثم تقوم لتحضر قهوته، ولكن تصطدم قدمها بحافة الطاولة لتقع القهوة على بدلة أسعد. تعتذر له بشدة، ولكنه يهدأها ثم يذهب ليرتدى أخرى. تمسك مى بمفاتيح

سيارته بسرعة لتخرج من البيت ثم تتصل على موبايلها من الموبايل الذى اشترته بالأمس وتضعه تحت الدواسة. تعود بسرعة إلى البيت، وتجلس على الطاولة كأن لم يحدث شيئاً.

يقبلها أسعد على جبينها، وتطلب منه أن ينتبه لنفسه. يخرج من البيت لتراقبه من خلف الشباك ثم تضع الموبايل على أذنها. يركب أسعد السيارة ثم يقوم بالإتصال بالسكرتيرة، ويعرف منها مواعيد يومه ثم يقاطعه اتصال آخر، فيقوم بالرد وهو غاضباً. تسمع مى المكالمة التى تدور بين زوجها، وفتاة تدعى سلوى، يهددها فيها بقتلها إذا لم تبتعد عنه. لم يتأثر بتوسلات الفتاة وترجيها له بإبعاد الفضيحة عنها بل صمم على موقفه.

تصدم مى من صوت زوجها الذى يشبه الوحش الكاسر عديم الرحمة، وتسائلت عن هذه الفتاة التى تتوسل له بالدموع والبكاء. تشعر بالخزى، ولكنها فى نفس الوقت متعاطفة مع الفتاة المسكينة. لم تدرى ما

الذى يجب عليها فعله، فالمواجهة ليست في مصلحة أحد منهما كما أنها من المحتمل أن تأذى الفتاة. تقرر في النهاية أن عليها أن تعرف من هى هذه الفتاة، وما قصتها.

تربت سها على مى التى تبكى بحرقة، وتخبرها بأنه لم يكن ذنبها، فأسعد هو المخطئ الأول والأخير. تنظر لها مى، وتهز رأسها لها بالنفى، فهى المذنبة الآثمة التى تستحق العقاب.

تركب مى سيارتها لتذهب إلى الشركة التى يعمل بها زوجها، الذى يقابلها بتوتر، ويسألها عن سبب الزيارة. فتخبره بأنها حضرت لتبلغه بقرار هام، تقاطعهما السكرتيرة التى تطلب منه أن يوقع على الأوراق الخاصة بالموظفين المنقطعين عن العمل منذ فترة، فيطلب منها أن تترك الملف لكى ينظر فيه لاحقاً.

يلتفت إلى مى ويسألها عن قرارها الهام، فتخبره بأنها سوف تأخذ إجازة مفتوحة لتتفرغ لحياتهم بعد أن انغمست في الحياة العملية. يتعجب أسعد من قرارها، ولكنه لا يوافقها، فهى وصلت إلى هذا

المنصب بعد تعب وجهد سنين، وربما تؤثر هذه الإجازة على مشوارها العملى. يقاطعها اتصال من أحد شركاءه، فيغادر الحجرة ليرى المشكلة التى وقعت داخل الشركة بينما تنظر مى إلى الملف الخاص بالموظفين المنقطعين عن العمل، فتفتحه لتجد كما توقعت اسم سلوى ثم تلاحظ أنها منقطعة منذ ما يقرب من أسبوعين، فربما تكون هذه فترة حملها.

تدون اسم الفتاة بالكامل على ورقة ثم تضعها في حقيبتها، يدخل أسعد ويعتذر لها بضرورة مغادرة الشركة حيث أن الموقع يحتاج إليه، ويوعدها أنهما سوف يتناقشان في هذا الأمر على العشاء. يعرض عليها أن يوصلها إلى الجامعة، ولكنها تخبره بأنها سوف تنتظر قليلاً حيث أن ميعاد محاضرتها لم يأتِ بعد.

تدخل السكرتيرة المكتب لتأخذ بعض الملفات، وتسأل مى إذا كانت ترغب في تناول أى مشروب، ولكنها تتودد إليها، وتعاملها بشكل حسن لتسأل في نهاية المطاف عن فتاة تدعى سلوى كانت إحدى طالباتها

في الجامعة منذ زمن، وترغب فى مقابلتها حيث أنها توسطت لها عند أسعد لكى تحصل على وظيفة. تخبرها السكرتيرة بأنه لا يوجد فتاة تدعى سلوى سوى واحدة انقطعت بدون أسباب عن العمل كما أنها حديثة التخرج. تستدرج السكرتيرة في الحديث لتعرف منها أنها لم تتوظف سوى من ثلاثة أشهر فقط، وأنها تسكن بعيداً عن مقر الشركة، فربما يعود انقطاعها عن العمل بسبب المسافة التى تقطعها يومياً من بيتها إلى الشركة.

تحاول مى أن تظهر تعاطفها مع الفتاة المسكينة، فتطلب منها أن تعرف عنوانها، فربما تساعدها في إيجاد فرصة بالقرب من بيتها. وبالفعل، تحضر لها السكرتيرة العنوان، لتذهب لمقابلتها.

"ما كان يجب على أن أذهب إليها يا سها، إننى أشعر بالندم الشديد"

تركب مى سيارتها لتنطلق فى مهمتها، إلى أن تدخل إحدى الحارات الضيقة لتجد تجمعاً كبيراً من الناس. تركن سيارتها في أقرب مكان ثم تسأل من تراه على العنوان، لتتفاجئ أن هذا التجمهر بسبب البيت الذى تسكن فيه سلوى. تدخل البيت بثبات لتجد فتاة فى عمر ابنتها سلمى ترقد على الأرض، وتحيطها الدماء من كل جانب، حيث ينبع من شرايين يديها. تنهار من البكاء، لتقع على الأرض وهى تتسائل عن السبب الذى يجعلها تنهى حياتها بهذه الطريقة، فالمسكينة لا تزال فى عمر الزهور. تنتبه إلى الظل القادم من خلفها، فتلتف لتجد أسعد ينظر إليها.

"أنا السبب يا سها، هكذا قال لى ونحن نغادر. أنا السبب والفتاة ضحيتى أنا، فهو لم يشعر بالسعادة معى، لذلك أخذ يبحث عنها في الخارج مع فتيات في عمر ابنتنا سلمى"

تتركها سها لتغادر كى تلحق بابنها الصغير بينما تقوم مى لتغسل وجهها ثم تنظر لنفسها في المرآة متسائلة إذا كانت سوف تستسلم

لزوجها واتهامه لها بالنتيجة التى وصلت الأمور عندها. فهى اعتادت أن توظف وقتها ما بين العمل والبيت والأولاد، وهو لم ينكر ذلك.

"لماذا أبكى؟ هل هذا ضعف منى أم ذهول أم أننى لم استطع مواجهته، وسعدت بإلقاءه اللوم على على أفعاله اللا إنسانية؟! أم لأننى لا أتخيل حياتى بدونه؟! فقد سقط عنه قناع المثالية، وقد ظهر على حقيقته. ما الذى يجعلنى أنتظر معه أكثر من ذلك؟! إنه أجرم بحق الفتيات اللائى دفعن ثمن شهوته ومعاملته السيئة لهم. لا، استطيع أن اعيش وحدى مع أولادى. ولكن المجتمع، والناس، والأقارب والأصدقاء والمظهر الإجتماعى؟! كل هذا يقف حائطاً أمام قرارى، يجب أن أضحى ولو بكرامتى من أجل أبنائى، ولكنه سقط من نظرى، فكيف أستمر معه في الحياة تحت سقف واحد؟!

لا، أنا لست مجرمة، هو المجرم، هو الفاعل، أنا ضحية مثل باقى الضحايا، الفرق أننى ظاهرة للمجتمع بينما هن في الخفاء. لابد وأن يدفع الثمن غالياً بدلاً من أن تدفعه ابنتى، فالمثل يقول كما تدين تدان، أننى

أخشى على ابنتى أن يصيبها سوءاً بسبب تصرفات أبيها. نعم، أننى استطيع أن ابتعد عن حياته وتصرفاته، استطيع أن أبدأ من جديد، استطيع أن أوفر لى ولأبنائى الآمان بدلاً من وضع قناع السعادة أمام الناس بينما نعيش في جحيم"

الحكاية التاسعة

"مشكلتى فى الحياة هو شكلى، أعانى دائماً من نظرات الناس وسخرية الأصدقاء بحجة العشم. أنا أصلع، وهذا سبب مأساتى."

لم يكن يتخيل الأستاذ صالح أن تتحول حياته لهذا الجحيم بسبب شئ- من المفترض أن يكون طبيعياً- ولكن ربما بسبب حساسيته المفرطة أصبح الأمر كالشبح الذى يطارده أينما يذهب. مشكلة صالح- كما أشارت إليها الطبيبة النفسية التى تشرف على علاجه بالمصحة- أنه يفسر نظرات الآخرين إليه كيفما يشاء.

" كنت واقف في السوبر ماركت أشترى بعض المثلجات، وجدت بعض الفتيات ينظرن اتجاهى ويضحكن فى صمت، شعرت بالحزن الشديد على ما أصابنى مما دفعنى لأن أترك ما بيدى وأخرج والدموع في

عيني لا أرى أمامى لدرجة أنى خبطت في البلهوان الذى كان يقف خارج السوبر ماركت وأفسدت له عرضه المضحك".

يعيش الأستاذ صالح وحيداً في البيت الذى ورثه عن والدته بالرغم من مطالبة أخواته البنات بنصيبهن فيه إلى أن اتضحت الحقيقة لهن بأن والدتهن نقلت ملكية البيت إلى ابنها الوحيد خوفاً عليه من غدر الأيام. اشتعلت الدنيا، ولم تهدأ حيث اتحدت الفتيات مع أزواجهن، وقاموا برفع قضية لإستعادة حقهن المسلوب. ودارت الأيام بين المحاكم والجلسات إلى أن انتهى الأمر بخسارة القصية حيث تم اثبات صحة العقد.

" أنا آخر أخواتى البنات، جئت إلى الحياة بعد عشر سنوات من الإنتظار. أحبنى أبى وأمى بشدة، وكثيراً ما دللنى أبى في حين كانت أخواتى البنات ينصبن لى المصائب كى أقع فيها، ويتذوقن طعم الشماتة في ولو لحظات".

كانت تتمنى والدته، السيدة نفيسة عبد البارى، أنا ترى أحفادها قبل وفاتها، ولكن يا فرحة ما تمت، ماتت قبل هذا اليوم. ماتت نفيسة تاركة وراءها صالح الذى لا يستطيع أن يتخذ قراراً وحيداً لوحده فى هذه الحياة التى لا تعرف الرحمة.

"عندما اتقدم إلى فتاة، أجدها تسلط نظرها على الصلعة. اشعر بالخجل الشديد بسبب مظهرى بدون شعر رأسى. هذه الصفة الوحيدة التى ورثتها عن أبى المهندس عبد الهادى، الذى تمكن من توفير وظيفة حكومية لى قبل رحيله بعد تخرجى من الجامعة مباشرة".

إلتحق صالح بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وآدابها ثم نصحه والده بتحضير دبلومة للترجمة كى يستطيع الحصول على وظيفة مرموقة، وبالفعل هذا ما حدث. تمكن عبد الهادى من خلال معارفه أن يتم تعينه فى إحدى الوظائف المرموقة بالحكومة، ولكن شعور صالح بالدنيوية كان يطارده في تعامله مع زملائه الذين كانوا يعتبرونه غريب الأطوار.

"أعجبت بإحدى زميلاتى، ونويت أن اتقدم إليها رسمياً، وبعد محاولات عديدة وقفت أمام مكتبها أطلب منها التحدث لبضعة دقائق على إنفراد. المرة الأولى نظرت إلى متسائلة عن السبب، ولكنى أصُيبت بضيق تنفس ولم استطيع التحدث على الإطلاق إلى أن وقعت على الأرض ثم تم نقلى إلى المستشفى. وفى المرة الثانية، قابلتها فى طرقة المبنى الرئيسي ووقفتنى لتسألنى عن صحتى وعن الشئ الذى كنت أود التحدث معها فيه، لم أشعر لحظتها برجلى لإنه اغشى على. وفى ثالث مرة، أخبرتها بعد ذهابى للمستشفى للمرة الثانية عندما وجدتها بجانبى عندما أفقت، بإننى أريد التقدم إليها. ضحكت، ضحكت عاليا وأخبرتنى أنها متزوجة!"

تشير الطبيبة النفسية التى تعالج صالح إنه لم يحتك بالبشر غير في حدود، حتى عندما كان طفلاً يلعب في الشارع ، كان يجلس بعيداً يشاهد

الأطفال يلعبون. هذا بالإضافة إلى كونه قليل الكلام، محدود الإنفعال، بارد لأبعد الحدود، من الممكن أن يصيب الشخص الذى أمامه بالجلطة.

" اعتدت الذهاب إلى مقر عملى في ميعادى المحدد، لا اشارك زملائى وجبة الفطار أو الأحاديث الجانبية. اجلس على مكتبى حتى الساعة الثانية ثم ارحل كما حضرت...فى صمت. تعجبت من رشاد- أحد زملائى- الذى اقترب منى في أحد المرات ليعزمنى على حفل زفاف أخته. كانت هذه هى المرة الأولى التى يتقرب منى أحد ليتحدث معى، وافقت على مضض منعاً لإحراجه ثم لم أذهب. لا أحب الحفلات أو التجماعات بل أفضل الوحدة، هكذا تعلمت من أبى".

تشير هناء خطيبته الوحيدة والسابقة- والتى تكبره في العمر بعام- بأنه يخاف من اتخاذ القرارات. كان يهاب أن الفكرة بحد ذاتها، دائماً ما يحتاج لكثير من الوقت لكى يفكر في أى شئ، حتى لو كان إذا كان يعزمنى على قهوة أم عصير برتقال. تضيف هناء بأنها قبلت الإرتباط به حيث أنها شارفت على الخامسة والثلاثين ولم ترتبط ولو مرة واحدة فى

حياتها، ولم تجد أمامها سوى صالح. تقابلا في إحدى المناسبات التعيسة، فى عزاء مدير الإدارة التى يعملا بها. لفت انتباهها عندما وقع من على سلالم الجامع لتتلقفه هى بنفسها. كان مشهداً مضحك، وأخرج الجميع حتى أقارب المتوفى، عن الجو العام لتتعالى الضحكات عالياً. لحظتها شعر صالح بالإحراج الشديد، وآثر الرحيل بعيداً عن الجميع مما جعلها تشفق عليه، وتجرى وراءه لتحاول تهدأته. حاول أن يتجنبها في بداية الأمر، ولكن مع إصرارها توقف ثم انهمرت دموعه.

توضح هناء بأنها منذ هذه اللحظة، وهى تجمع حوله المعلومات حيث شعرت بالتعاطف معه. لم تضيف شيئاً ذو أهمية عما سبق ذكره، ولكن اعتقد البعض بأنها معجبة به، لهذا نجحت مساعى أولاد الحلال أن يجمعا بينهما إلى أن تشجع أخيراً وتقدم لخطبتها. تقول هناء بأنها شعرت بالغبطة حيث أنها لم تشعر ناحيته بأى مشاعر، ومع الضغط الذى مارسه عليها أهلها وافقت على الخطوبة.

" كان يجلس صامتاً طوال الوقت، كنت أشعر بأنه يعذبنى أثناء زيارته الأسبوعية في البيت. استطعت أن اقنع عائلتى بأن اخرج معه بعيداً عن الأجواء العائلية، ولكنى تفاجأت بإنه لا يستطيع التعامل مع الناس أو اتخاذ أى قرارات. انفعلت ثم قررت الإنفصال. أعلم بأنه ربما يتأذى بسببى، ولكن فى نهاية الأمر كان لابد من حسم الأمر بشكل نهائى."

نظر صالح في الدبلة التى أعطتهاله هناء ثم غادر بيتها في صمت ليذهب إلى بيته ولم يخرج منها لمدة أسبوع. زملائه فى العمل ذهبوا للإطمئنان عليه، ولكنه لم يفتح لهم الباب. سار الشك بداخلهم لذلك كسروا باب الشقة ليجدوه جالساً على الأرض، شاحب الوجه، ذقنه طويلة، وينظر من الشباك على المارة فى صمت. وقف الجميع في حيرة من الأمر، ليتفقوا في النهاية على إدعاه داخل مستشفى للصحة النفسية.

-:" هل تغلبت على صمتك؟"

-:"نعم، استطعت"

-:" وما رأيك في الحياة يا صالح؟"

-:" الحياة صعبة مريرة، ولابد من التأقلم معها"

-:" هل تعلم أن هناء هنا لزيارتك اليوم؟"

-:" لا أريد أن أقابلها"

-:" ولم؟"

-:" لإننى لم أحبها يوماً ما، لقد فُرضت علىً"

-:" وما هو قرارك بشأن المصحة؟"

-:" أريد أن أخرج لكى أعيد ترتيب حياتى من جديد"

-:" هل تريدنى أن أخبر الطبيبة بهذا الأمر؟"

-:" لا، أنا استطيع أن أخبرها بنفسى"

الحكاية العاشرة

أبانوب:"أريد أن اجتمع مع القيادات، فلدى شئ هام جداً يجب أن أطلعهم عليه"

تخرج من الكلية وهو على أمل أن يأخذ إعفاء من الخدمة العسكرية، وخصوصاً وسط هذه الأجواء من المشاحنات والتوترات في سيناء. لقد كان يهاب الموت، وكان يصلى من أجل ألا يذهب إلى سيناء حتى لا يصبح مصيره غامضاً مثل الآخرين. حاول أن يصيب نفسه بإصابات بالغة كى لا ينجح في كشف الهيئة، ولكن كل الطرق كانت تؤدى إلى انضمامه إلى الجيش.

صرخ، غضب، حزن، ولكن هدأته أمه بأنها سوف تصلى من أجله. لم يتوقف عن التذمر حتى سافر مع زملائه- الذين لم يعرف منهم أحد- إلى إحدى الوحدات في سيناء. لم ينم الليل، فقد كان يتخيل أنه سوف

يقتل على أيدى الأرهابيين عاجلاً أم آجلاً. كانت الحياة مختلفة عن الحياة التى اعتادها، فلأول مرة يقدر طعام أمه اللذيذ الذى كان يكره، ويشترى الطعام الجاهز بدلاً منه. كما قدر أوقات الفراغ التى كان يمل منها، ويتمنى بسببها أن يتخرج بسرعة كى يلتحق بالعمل، ومن ثم يستغل وقته. ولكن في الجيش، لا يوجد أبسط أنواع الرفاهية، فالحياة جافة، وعليه تنفيذ الأوامر دون نقاش كما كان يفعل مع أبيه.

اعتمد على الكانتين في الفترة الأولى من الجيش، وبعد أول إجازة عاد للوحدة ومعه الغنائم من البيت. أول شئ فعله عندما دخل البيت هو تقبيل يد أمه، والتى كان لا يعرف قيمتها إلا عندما عانى فى هذه الفترة. تغيرت رؤيته عن العديد من الأشياء، وقد لاحظت عائلته هذا التغيير. عاد إلى الجيش، ولكن فى قلبه غصة لا يعرف سببها، ربما هى الخوف من الموت ، هذا الخوف الذى يداهمه أينما يكون، ولا يعرف طريق النوم بسببه.

مرت بضعة أيام، والحياة تسير كما هى، إلى أن حدث شئ ما كان ينتظره الجميع. فقد وقع حادث إرهابى في إحدى الكمائن القريبة من بئر العبد، وراح فيها جنديين. عم الصمت، وكذلك الخوف المكان، الكل يتخيل نفسه مكان الذين راحوا.

لم ينم أبانوب يومها، وقرر أن يفعل شيئاً يحمى به الجنود من غدر الأعداء، ولكن ما هو هذا الشئ، ما الذى يستطيع فعله لكى ينقذ ما يمكن إنقاذه. فكر في دراسته، وإذا كان يمكنه الإستفادة من خمس سنوات دراسة في كلية الهندسة أم لا، وإذا كان يستطيع أن يطوع خلاصة هذه المدة فى شئ مفيد.

تفاجئ في صباح اليوم التالى بنقله إلى الكمين الذى وقع فيه الحادث الإرهابى، لعن حظه التعيس الذى كان عقبة في طريقه لتحديد هدفه النبيل. طلب من القائد أن يتصل بعائلته قبل أن يتحرك إلى هناك، وطلب من أمه أن تدعى له بالنجاة من هذا الطوفان الذى لا ينتهى.

أوصته هى بدورها بالدفاع عن زملائه، وألا يخاف، فما يفعله له أجر عظيم في السماء.

تحرك أبانوب، وتحركت معه عيون زملائه الذين أخذوا يتابعونه إلى أن اختفى أثره في الصحراء. ذهب إلى الكمين تعيساً، ولكنه تفاجئ بأن المجندين، ومعهم القائد يضحكون، ويلقون النكات، ويعيشون حياتهم كإنهم ضامنين النجاة. سأله زميله محمد عن سبب انعزاله عنهم، فرد عليه بأنه مندهشاً من حياتهم الطبيعية بالرغم من وقوع الحادث الإرهابى فى وقت قريب. لم يرد عليه محمد بل نظر إلى السماء وشاور عليها حيث يعتقد بأن زملائه الذين راحوا ضحية العدوان ينظرون عليهم من هناك.

تعجب أبانوب من رد محمد، الذى اعتبره ساذجاً، وتسائل إذا كان كلامه نابعاً من شدة إيمان أم يأس! استيقظ فى اليوم التالى على كابوس حيث رأى نفسه واقفاً في وسط الصحراء ومعه سلاحه، وتتساقط

قطرات العرق من على جبينه بكثرة بسبب الحر الشديد، وعندما قام بمسح عرقه بيده، ظهر الصليب، وفجأة انهال عليه الرصاص من كل اتجاه، وتعالت صيحات الله أكبر، لقد قتلنا الكفار. صرخ بأعلى قوة لديه طالباً الإغاثة، فحاول محمد تهدأته، وأبلغه بأنه كان نائماً ولا شئ يحدث بالخارج. تركه أبانوب وأخذ يبحث عن أى قطعة قماش يستطيع من خلالها أن يخفى الصليب المرسوم على يده.

تعجب القائد من يد أبانوب، وسأله إذا كان أصابه جرحاً كى يطلب في إرسال طبيب لمعالجته، ولكن تعلثم الفتى، فباغته محمد بتوضيح الأمر للقائد، وأخبره بأن الأرهابيين سيقتلونه دوناً عن غيره بسبب الصليب المرسوم على يده. انفجر الجميع من الضحك بشكل هستيرى ثم سأله القائد إذا كان يعتقد بأنهم سوف ينجون من الموت بسبب كونهم مسلمين، فالجميع بالنسبة لهؤلاء المختلين كفار، ومباح قتلهم بغض النظر عن الديانة.

شعر أبانوب بالخجل الشديد، فقام بقطع القماشة وألقاها بعيداً بينما اقترب منه محمد، وأخبره بأن زفافه فى الأجازة القادمة، وإنه يدعوه للحضور إذا نزل معه وقتها. لم يرد عليه أبانوب الذى كان يستشيط غضباً ثم أخبره محمد مازحاً بأن عليه الإنضمام إلى داعش كى يضمن لنفسه النجاة، وليس شرطاً فى أن يصبح مسلماً يكفى إنه داعشى ويرتدى ملابسهم ويحمل رايتهم. نظر إليه أبانوب وتسائل إذا كان هذا ممكناً، فانفجر محمد من الضحك، وشاركه أبانوب.

اعتاد أبانوب أن يفطر مع زملائه في الكمين على آذان المغرب، وأن يكتفى بوجبتى الفطار والسحور حتى لا يجرح مشاعرهم. استمر رمضان تعمه حالة من الهدوء التى تسبق العاصفة إلى أن ذهب أفراد الكمين لتناول الإفطار في منتصف الشهر الكريم، ولكن طلقات الغدر سبقتهم لتنهال عليهم من كل إتجاه.

فتح أبانوب عينيه ليجد نفسه في المستشفى، وكل ما يتذكره بأنه كان يحمل الأطباق كى يفطر بعد يوم شاق من الصيام. سأل عن زملائه في الكمين، ولكنه فوجئ بأنه الناجى الوحيد من الهجوم الإرهابى.

" محمد؟ أين محمد؟ هل ذهب إلى زفافه؟!" سأل أبانوب الطبيب الذى كان يشرف على علاجه، والذى أجابه بإقتطاب بأنه استشهد.

تضاربت المشاعر بداخله، لم يعلم إذا كان سعيداً بنجاته أم حزيناً على فراق زملائه. بكى وصرخ وغضب، ولكن هذه المرة بسبب مرارة التجربة، وقسوتها. زارته أسرته في المستشفى، وأخبر أبيه بأنه عازم العقد على الذهاب إلى سيناء. شجعه أبيه الذى رأى فيه عمه الذى استشهد فى حرب أكتوبر، وذكره بسخريته من البطولات التى كان يحكيها له عندما كان في الجامعة، لذلك فالإلتحاق بالجيش يعتبر الفرصة الحقيقة له بأن يتعلم معنى الرجولة والشجاعة والتضحية.

عاد أبانوب إلى سيناء، ولكن هذه المرة كانت خدمته على الحدود بين مصر وفلسطين. لم يخف بل كان يخفف عن زملائه، أصبح أكثر شجاعة وإصرار على أن يتحدى الإرهابيين. وفى إحدى الليالى، خطرت على باله الفكرة التى تناساها مع الأيام ألا وهى تسخير دراسته الجامعية في إيجاد حل لمواجهة خطر الإرهابيين.

استغل الصمت الرهيب من حوله ليفكر في هذا الحل، استعادت ذاكرته الأيام التى عانى فيها من المذاكرة والدراسة إلى أن توصل لفكرة لم يصل إليها أحد من قبل. لم يستطع أن يصبر لصباح اليوم التالى، فذهب إلى القائد ليطلب منه مساعدته فى الوصول إلى القيادات حيث أن هناك أمراً هاماً عليه أن يشرحه لهم.

نظر إليه القائد متسائلاً عن الذى يريده بالتحديد، فأخبره أبانوب بالفكرة، وأنه يطلب مساعدته لكى ينفذها في أقرب وقت ممكن. لم يرد عليه القائد بل أمره بالعودة إلى موقعه بينما ارتسمت ملامح الخيبة على

وجه أبانوب. مر يومان إلى أن تفاجئ بطلب القائد له، فذهب إليه على الفور لعل هناك شيئاً يبعث الأمل. أخبره القائد بأن القيادات ردت على إقتراحه، لذلك عليه التحرك إلى الوحدة في الحال لمناقشة الأمر معهم ثم تمنى له التوفيق في إختراعه.

طار أبانوب من الفرحة العارمة، شكر القائد وعانقه بقوة ثم اتجه إلى الوحدة. وقف أمام القيادات يشرح لهم فكرته ثم وافقوا بعد المشاورة على نقله للقاهرة كى ينفذها. استغرق أسبوعين لكى يصنع جهازاً قادراً على تحديد الطاقة السلبية ليصدر منه إشعاعاً يجمد صاحب هذه الطاقة، ويجعله يتوقف في مكانه. طلب بعدها أن يسمحوا له بالذهاب إلى سيناء لكى يخضع الجهاز للتجربة العملية.

وقف أبانوب مع زملائه في كمين وسط مدينة العريش، على أمل أن يحقق الجهاز معجزة، ويستطيع إنقاذ المدنيين. فات ما يقرب من شهر، والوضع الأمنى داخل المدينة مستقراً، فأرسل في طلب أن يتم نقله إلى الحدود أو أى مكان يشكل خطراً جسيماً، ولكن هجمت إحدى

الجماعات الإرهابية على المدينة. استعد كل من الشرطة والجيش لمواجهة المسلحين بينما أخرج أبانوب جهازه، وصوبه ناحية الأعداء الذين تجمدوا في أماكنهم لفترة ، استطاعت بعدها الشرطة والجيش القبض عليهم وبذلك تم حماية المدينة.

انتشر الخبر كسرعة البرق بين الوحدات المختلفة على مستوى الجمهورية بأن هناك شاباً حديث التخرج من كلية الهندسة استطاع أن يخترع جهازاً عجيباً جعل الإرهابيين يتجمدون في أماكنهم وبالتالى تم تسيير مهمة القبض على الإرهابيين.

حرصت الأجهزة الأمنية على عدم نشر الخبر لحين الإنتهاء من عملية تمشيط سيناء، وشعر أبانوب بالفخر الشديد والإعتزاز بنفسه. ولكن لم تدم الفرحة حيث كان رد الإرهابيين أسرع ، وغير متوقع.

فى صباح يوم الجمعة، غلب أبانوب النوم بسبب سهره طوال الليل في الخدمة بينما أثناء إقامة شعائر صلاة الجمعة، قام الإرهابيين بتفجير

أحد المساجد التى تزدحم بالمصلين. استيقظ أبانوب مفزوعاً من شدة الهزة التى أحدثها الإنفجار. ذهب إلى منطقة الحادث حافى القدمين، ونظر إلى الضحايا مفزوعاً من هول المشهد. لقد صدق القائد و محمد حينما أخبروه بأن هؤلاء لا يعرفون ملة أو ديانة، فالجميع بالنسبة إليهم كفار طالما غير تابعين لهم.

شعر أبانوب بالحزن الشديد على ما حدث، وطلب أن يقابل القيادات فى سيناء. الجميع كان مشغولاً في الحادث بينما ترك موقعه، وذهب إلى المقر الرئيسي.

أبانوب:"أريد أن اجتمع مع القيادات، فلدى شئ هام جداً يجب أن أطلعهم عليه"

تم الإستجابة إلى طلبه، وبالفعل قابل القيادات الذين عرض عليهم أن يمنحوه فرصة ليتمكن من تصغير حجم الجهاز، وتطويره كى يتم وضعه في الميادين والجواع والكنائس بالإضافة إلى سهولة نقله أثناء

المهمات الصعبة. وافق الجميع على منحه هذه الفرصة طالما أن الحماس ينبع من داخله بكل صدق.

استطاع أبانوب أن يطور جهازه فى وقت موجز مما سهل على الأجهزة الأمنية والجيش على أن يقضوا على الإرهاب، وحماية وإنقاذ الأرواح. رفض أبانوب بأن يتم نشر اسمه أو تكريمه علناً، فقد تعلم من زملائه الذين استشهدوا أن الأجر الأعظم هو التضحية سراً.

الفهرس

١- الحكاية الأولى ٥

٢- الحكاية الثانية ١٣

٣- الحكاية الثالثة ٢٢

٤- الحكاية الرابعة ٢٨

٥- الحكاية الخامسة ٤١

٦- الحكاية السادسة ٥٢

٧- الحكاية السابعة ٦١

٨- الحكاية الثامنة ٧١

٩- الحكاية التاسعة ٨٢

١٠- الحكاية العاشرة ٩٠